بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن البحث في علاقات المعاني وبنائها باب مهم من أبواب البلاغة . يقول عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني : «واعلم أن غرضي من هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته ، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق ، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصِّل أجناسها وأنواعها ، وأتتبع خاصها ومشاعها ، وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل ، وتمكنها في نصابه ، وقرب رحمها منه ، أو بعدها حين تنسب عنه، وكونها كالحليف الجاري مجرى النسب، أو الزنيم الملصق بالقوم لا يقبلونه ، ولا يمتعضون له ولا يذبُّون دونه »[١].

ويجعله الإمام من أدق البحث في البلاغة فيقول : « واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت ، أو تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعًا واحدًا ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك ، نعم وفي حال ما يُبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين »[٢].

ومن ثم فإن البحث والتحليل البلاغي إنما هو كشف عن جوانب المعاني ، وأن النظم هو نظم معانٍ ، وليس البناء اللغوي إلَّا الصورة اللفظية أو الصوتية لبناء المعاني[٣].

والبحث في كلام الله سبحانه وتعالى من هذا الاتجاه ، هو أعظم الغايات وأنبلها يقول الإمام عبد القاهر : « ومتى جشمت ذلك ، وأبيت إلَّا أن تكون هنالك، فقد أممت إلى غرض كريم ، وتعرضت لأمر جسيم ، وآثرت التي هي أتم لدينك وفضلك ، وأنبل عند ذوي العقول الراجحة لك ، وذلك أن تعرف حجة الله تعالى من الوجه الذي هو أضوأ لها وأنوه لها، وأخلق بأن يزداد نورها سطوعاً ، وكوكبها طلوعا ، وأن تسلك إليها الطريق الذي هو آمن لك من الشك وأبعد من الريب ، وأصح لليقين ، وأحرى بأن يبلغك قاصية التبيين »[٤].

ويقول الفخر الرازي « أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[٥].

ويرجع اختيار عنوان البحث : « علاقات المعاني وبناؤها في سورة الإنسان » لأمرين اثنين

(١) استدعاء المعاني المتشابهة في السورة، والكشف عما بينها من وشائج، ثم استدعاء مثيلتها في السورة السابقة واللاحقة، وكيف تصب

---

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ت/ محمود محمد شاكر صـ٢٦ مطبعة المدني بالقاهرة ، ط الأولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

(٢) كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ، ت/ محمد محمد شاكر ، صـ٩٣ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٣) ينظر مدخل لكتابي الإمام عبد القاهر للدكتور محمد أبو موسى صـ٢٨٤ ، مكتبة وهبة بالقاهرة .

(٤) كتاب دلائل الإعجاز صـ٣٧ ، ٣٨ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٢٨٨ .

هذه وتلك في المقصد الأساس للسورة .

(٢) تتبع محاور الفكرة الواحدة في السورة بدءً من اللفظة ومرورًا بالجملة ثم الفكرة ، ثم توضيح الروابط بين الأفكار ، وهذا يستوجب دراسة البناء البلاغي للمحور الواحد، للكشف عن العلاقات بينها والوصول إلى المقصد الأساس للسورة الكريمة .

وقد نبه البقاعي إلى هذين الطريقين في الكشف عن الإعجاز البلاغي فقال : « إن للإعجاز طريقين : أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب ، والأول أقرب تناولاً ، وأسهل ذوقًا ... وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز ، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما قلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك ... فإذا استعان بالله، وأدام لطرقه باب الفرج بإنعام التأمل، انفتح له ذلك الباب »[1].

أمَّا سبب اختيار «سورة الإنسان » لتكون محلا للدراسة، فذلك يرجع في الأساس إلى أن قضية البعث، والاستدلال عليها من خلال بداية الخلق وما نتج عنه من تصنيف الناس إلى قسمين قضية مشتركة بين السور الثلاثة ، لكن التفصيل في ذكر العقل المدبر لذلك ، وإعطاء الإنسان حرية الاختيار في التصرف انفردت به سورة « الإنسان » عن السورتين فجعلتها أساسًا في الدراسة وقد تطلب هذا البحث أن تأتي الدراسة في فصلين أساسيين هما :

الفصل الأول : علاقات المعاني ويشمل مطلبين :

المطلب الأول : مقصد السورة وعلاقتها بما قبلها

المطلب الثاني :

١- علاقات المعاني بين سورتي الإنسان والقيامة .

٢- علاقات المعاني بين سورتي الإنسان والمرسلات .

٣- علاقات المعاني بين محاور سورة الإنسان .

الفصل الثاني:بناء المعاني ويشمل مطلبين

المطلب الأول : بناء المعاني في محاور السورة ، ويشمل :

(١) بناء المعاني في تحريك العقل نحو قضية خلق الإنسان .

(٢) بناء المعاني في تقسيم الناس إلى فريقين .

(٣) بناء المعاني في تثبيت النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الصبر لما يلحقه من أذى في دعوتـه .

(٤) بناء المعاني في خاتمـة السورة .

المطلب الثاني : الأنماط البلاغية والظواهر الأسلوبية .

ثم نتائج البحث .

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/١ ، ت/ عبد الرازق غالب المهدي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى ١٤١٥هـ .

الفصل الأول

علاقـــــــات المعانـــــــــي

ويشمل مطلبين :

المطلـــب الأول : مقصد السورة وعلاقتها بسورة القيامة

المطلب الثاني : ١- علاقات المعاني بين سورتي الإنسان والقيامة .

٢- علاقات المعاني بين سورتي الإنسان والمرسلات .

٣- علاقات المعاني بين محاور سورة الإنسان .

الفصل الأول

علاقـــــــات المعانـــــــــي

المطلب الأول

مقصد السورة وعلاقتها بسورة القيامة

نبه الطاهر بن عاشور إلى أهمية دراسة الربط بين أفكار السورة ومقصدها الأساس فقال : « ولم أغادر سورة إلَّا بينت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جملة، كأنها فقر متفرقة ، تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله »[١].

والبقاعي يهتم بالكشف عن المقصد الأساسي للسورة ؛ لأنـَّه يرى أن المقصد هو القاعدة الأساس الذي تقوم عليه أركان ومحاور يشد بعضها بعضا يقول : «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنَّك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات من القرب والبعد من المطلوب»[٢].

« وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها »[٣].

وقد أشار البقاعي إلى أن معرفة مقصد السورة يتم بعدة طرق منها :

١- النظر في اسم السورة وما يمكن أن يلقيه هذا الاسم من ظلال على المقصد الأساس للسورة ، وذلك من خلال معرفة المدلول اللغوي لمادتها، ثم تتبع اللفظة في سياقاتها القرآنية لبيان ما تشع به اللفظة من إيحاءات وإيماءات يقول البقاعي : « إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ؛ لأنَّ اسم كل شَيْءٍ تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه »[٤].

ثم يقول : « ومقصود كل سورة هادٍ إلى تناسبها ، فأذكر المقصود من كل سورة ، وأطبق بينه وبين اسمها ، وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة »[٥].

أمَّا تتبع المفردة في سياقاتها المختلفة فقد وضح في تفسيره لفاتحة الكتاب يقول : « جاء التصدير بالحمد بعد الفاتحة في أربع سور أشير في كل سورة منها إلى نعمة من هذه النعم على ترتيبها ... وهذا يرجع إلى أصل مدلول الحمد ، فإن مادته بكل ترتيب تدور على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والإحاطة والاستدارة فيلزمها مطاطأة الرأس، وقد يلزم الغاية الرضا فيلزمه الشكر وسيبين وينزل على الجزئيات في سورة النحل إن شاء الله تعالى ، ثم في أول سبأ تحقيق ما قاله الناس فيه وفي النسبة بينه وبين الشكر ، فقد بان سر الافتتاح بها من حيث تصديرها بالحمد جزئيا فكليًا الذي كل

---

(١) تحرير التنوير ١/ ٨٠ .
(٢) نظم الدرر ١/ ١١ .
(٣) المصدر السابق ١/ ٥ .
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ١٢ .
(٥) المصدر السابق ١/ ١٢ .

أمر ذي بال لا يبدأ فيه فهو أجذم ، وتعقبه بمدح المحمود بما ذكر من أسمائه الحسنى، مع اشتمالها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والأحكام العملية، فهي أم القرآن، لأنها له عنوان، وهو كل لما تضمنته على قصرها بسط وبيان »[١].

٢- النظر في مقدمة السورة والتأمل فيها بوعي من خلال بناء هذه المقدمة ثم علاقة المقدمة بمحاور السورة وخاتمتها .

٣- النظر في علاقة السورة بما قبلها وما بعدها ومدى الربط بينها .

هذه أمور أشار إليها البقاعي وهو يوضح مقصد السورة، والربط بين آياتها، ومن هذا المنطلق نحاول أن نستضئ بهذا الكلام في الكشف عن علاقات المعاني في سورة الإنسان، والوقوف على مقصد السورة الأساس .

انظر أولا إلى اسم السورة «سورة الإنسان» ، وقد تكرر الاسم في السورة مرتين «هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ » ، «إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ » ، وعاد عليه الضمير ثلاث مرات « نبتليه ، فجعلناه ، هديناه » ، وإذا نظرنا إلى المدلول اللغوي للفظة « إنسان » .

نجد أن هذه المادة « أنس » لـها مدلولان :

الأول : الظهور ، يقال آنسته أي أبصرته ورأيته رؤى العيان ، ومنه : «فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا » ، «ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا» ، أي : أبصرتم في الأولى ، وأبصر في الثانية ، وقيل: للإنسان إنس، لأنهم يؤنسون أي : يبصرون في تصرفاتهم، ومبادئهم، ودينهم الذي يدينون به فلا يتوارون كالجن ومن ثم كان المقابل لهم في القرآن الجن ، «وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا» ، «وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا » سورة الجن آيتا ٥ ، ٦ .

الثاني : النسيان ، فلفظة إنسان أصلها : «إنسيان » ؛ لأنَّ العرب قالوا في تصغيره : أُنيسيان ، فدلت الباء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلَّا أنهم حذفوها، ونقل ابن منظور كلام ابن عباس في تأكيد ذلك ، «إنَّما سمي الإنسان إنسانًا لأنـــَّه عهد إليه فنسي ، قال أبو منصور : إذا كان الإنسان في الأصل إنسيان فهو إفعلان من النسيان »[٢].

والنسيان ضعف في ذاكرة العقل ، والعقل هو المحرك ، وبإيقافه عن وظيفته يصبح الإنسان قنوطا ، ظلوما ، كفورًا ، هلوعا – جزوعًا – منوعًا ، عجولاً خصيماً مجادلاً – مسرفا – كذابا ، فتورًا ...

والنسيان بمعنى أن هناك عقلا يدير الأمور ، فيستكشف حقيقة الأشياء وجوهرها، يجيب استثماره وتنميته وإعماله، فإهماله يعني فقد جزء مهم من الإنسانية ، وإعماله يجعله يدرك حقيقته ، كيف خلق ، وكيف يبعث وما حقيقة وجوده في الحياة ؟

---

[١] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٢٠ .

[٢] ينظر لسان العرب مادة : أ . ن . س .

إلى آخر هذه الأشياء ...

وإذا أمضينا ممسكين بطرف هذا الخيط لوجدناه يتجلى فيما وردت فيه اللفظة في سياقات القرآن المتعددة بصفة عامة ، وفي السورة التي هي مدار الدراسة بصفة خاصة، بدءً بسؤال الإنسان عن أصل خلقته لتحريك هذا العقل ، وإخراجه من النسيان المؤدي إلى طمس الحقائق والبراهين ، ثم التطبيق العملي والاتجاه نحو الابتلاء بعد توضيح الأدلة – إنا هديناه السبيل إمَّا شاكرًا وإمَّا كفورا ، وبناء عليه فهو إمَّا محرك لهذا العقل وهو الشاكر ، وإمَّا مهمل له يتركه يغط في دائرة النسيان وهو الكفور .

ثم إن « الإنسان » اسم جنس ، يطلق على الذكر والأنثى ، إذن كل إنسان ذكرًا كان أم أنثى له عقل يدبر ويميز .

ثم ننظر ثانياً إلى مطلع السورة نجدها تنبئ عن الغرض الأساس وهو دعوة الإنسان إلى إعمال العقل والفكر ، لما سيُبنى على ذلك من تقسيم آخر نتيجة تحفيز العقل للعمل والتذكر ، أو إهماله لعدم التفكر والنسيان .

انظر إلى افتتاح السورة بقوله تعالى : « هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا »، وما في الاستفهام من دعوة لمحاولة الإجابة عن هذا السؤال ، ولفت الذهن إلى التذكر والتأمل في بدء خلق هذا الإنسان الضعيف.

ثم نرى التفريعات الأخرى تصب في المقصد الأساس حتى يصير كأنها لنبات تتراص وتتلاحق لتحكم البناء .

انظر إلى تقديم المسند إليه : « إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ - إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ - نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ »، وما يفيد ذلك من تأكيد واختصاص في الكشف عن عظمة الله سبحانه، وقدرته في خلق الإنسان حينما خلقه من
لا شَيْء كما يشير إلى امتنان الله سبحانه على عباده ، حينما باشر ذلك بنفسه ، فأسند ذلك إليه خاصة .

أليس في هذا دليل على أن يُعمل الإنسان عقله ، ويتخذ من معرفة بداية خلقه دليلاً على القضية الأساس وهي الإيمان بالبعث « إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ » أي : أعطيناه القدرة على التمييز والإدراك ، فإما شاكرًا أي بأنعم الله عليه ، التي تتمثل في إعمال هذا العقل لإدراك ما امتن الله عليه ، وإما جاحدا بنعم الله نتيجة إهمال العقل وعدم الإدراك .

وقد عبّر عن الأولى باسم الفاعل ، والثانية بصيغة المبالغة ، حتى لا يخجل من قلة شكره، وكذلك جعل جزاءه في الجنة من فضة قدروها تقديرا وليست من ذهب كما ورد في سورة فاطر « جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ» ، نظرًا لأنـــه « لما كان مقصود هذه السورة ترهيب الإنسان الموبخ في سورة القيامة من الكفر ، وكان الإنسان أدنى إنسان المخاطبين في مراتب الخطاب ، اقتصر في الترغيب في شرف الآنية على الفضة دون الذهب المذكور

في فاطر والحج المعبر فيهما بالناس ، فلعل هذا لصنف وذاك لصنف أعلى منه مع إمكان الجمع والمعاقبة ، وأمَّا من هو أعلى من هذين الصنفين ، من الذين آمنوا ومن فوقهم فلهم فوق هذين الجوهرين من الجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[١].

ولعل في سورة القيامة قبلها ما يوضح ذلك التوبيخ للإنسان الذي فقد أهليه التميز والإدراك بسبب إهمال العقل «أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ » ، واضح في هذه الآيات توبيخ لهذا الصنف من الإنسان الذي لا يقتنع إلَّا بما يورد على الحواس « برق البصر – خسف القمر- جمع الشمس والقمر » . ثم يزاد التوبيخ في ختم السورة : «أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ» .

إذن المراد إعمال العقل للوصول إلى الحقيقة التي يريد تقريرها ، هذا ما تبين عنه المقدمة .

علاقة السورة بما قبلها :

يرى البقاعي[٢] أن سورة الإنسان هي تتمه سورة القيامة ، فقد ذكر في سورة القيامة هذا الصنف من الإنسان المعطل لعقله الفاقد القدرة على التمييز ومن ثم بدئت السورة بما يشير إلى ذلك ، أي أن فقدهم لإعمال العقل جعلهم لا يعترفون بشيءٍ مقرر ومعترف به من شأنه أن يدل على عظمة الخالق وقدرته، وهو ما أوقع القسم عليهما ، سواء أكان لا أوقع القسم ، أو أوقعه مؤكدًا ، وهو يوم القيامة والنفس اللوامة ، وأنهم لا يدركون ذلك إلَّا بما يرونه محسوساً كما ذكرنا قبل ذلك «فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ » ، حينها يدرك الإنسان حقيقة الأمر فيطلب الفرار والمهرب ، وقد ظهر ذلك جلياً في بداية السورة وكذا في نهايتها « أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى» .

« قضية البعث» عبر عنها القرآن الكريم في أكثر من مواضع، مقدمًا الأدلة عليها من خلال قضية بداية الخلق، وأن بعثه أيسر وأهون من إيجاده بداية ، ومن ثم تراه يعود دوما إلى البداية لإثبات هذه القضية «أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ» ، ليقدم دليلًا يحتاج إلى إعمال عقل، كالذي ذُكِر في نهاية سورة يس : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْۦِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْۦِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» ولم يقل : قل يحيها الله ، وإنما في التعريف بالاسم الموصول دعوة إلى إعمال العقل والوصول إلى الحقيقة عن طريق الرجوع إلى النشأة .

ثم جاءت سورة الإنسان وحشدت لهذه

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٢٥٩ .

القضية ، ففصلت ما أُجمل في سورة القيامة من مرحلة الإيجاد – «مني يمنى» ، وما نتج عنه من خلق الزوجين «الذكر والأنثى» ، فذكر ذلك في سورة الإنسان ، «لم يك شيئاً مذكور»، وفصل في بيان عظمة الله لانقسام الخلق إلى ذكر وأنثى فقال «نطفة أمشاج» ثم الهدف من هذا الخلق ، ثم ما تفرع عنه مما يستوجب على الإنسان شكره إذا أعمل عقله، وتدبر عظمة الله سبحانه في خلقه ، وكيف امتن عليه بعقل بنبهه إذا تنبه ، أو جحوده لذلك نظرًا لعدم شحذ فكره، وإعمال عقله واستحقاقه الغضب والعذاب من الله ، وقد صارت السورة الكريمة في هذين الاتجاهين حتى التقيا في آخر السور «يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا» .

❁ ❁ ❁

المطلب الثانـــي

ويشتمل :

١- علاقات المعاني بين سورتي الإنسان والقيامة .

٢- علاقات المعاني بين سورتي الإنسان والمرسلات .

٣- علاقات المعاني في سورة الإنسان .

المعاني : جمع معنى ، والمعنى كما يرى عبد القاهر هو كل ما تولد من ارتباط الكلام بعضه ببعض ، هو الفكر والمقصد ، هو كل ما ينشأ عن النظم من خصائص ومزايا .

يقول عبد القاهر : « وإذ قد عرفت أن مدار أمر« النظم » على معاني النحو ، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه ، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ، ونهاية لا تجد لها ازديادًا بعدها ، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبه لها في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض »[1].

والعلاقات جمع علاقة وهي: الوشائج التي تربط الكلام بعضه ببعض فيظهر فيها من الحبك والسبك والتلاحم ما يجعل السورة كلها تصب في غرض واحد بدءً من مطلعها، ومرور بمحاورها وانتهاءً بخاتمتها ، ثم

[1] كتاب دلائل الإعجاز صـ ٨٧ .

توضح ما بين السورة السابقة لها واللاحقة عليها من علاقات ووشائج، إيمانا بأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ، وهو منظوم بطريقة خاصة فريدة، تجعل بعضه يشد بعضا.

وقد تحدث الإمام عبد القاهر عن هذه العلاقات وجعلها أساسًا في النظم والوقوف على المعنى وتمايزه حين قال : « واعلم أنَّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى يُعلَّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعضٍ ، وتُجعل هذه بسبب من تلك ... وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء ، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ، ما معناه ، ما محصوله ؟ وإذا نظرنا في ذلك علمنا أنْ لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً ، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرًا عن الآخر ... »[1].

فدراسة العلاقات بين الكلمات في التركيب ، وكذا بين الجمل والمحاور وفهم دلالتها في أوضاعها المختلفة، هي الدراسة الموضوعية التي تعين على فهم النصوص وتذوق ما فيها من جمال .

أولاً : علاقات المعاني بين سورتي القيامة والإنسان .

بالتأمل في السورتين نجد كثيرًا من المعاني الملتقاه التي تصور لنا من يتعامى عن الحقيقة ، فلا يعمل عقله ولا يحرك ذهنه، رغم ما قدم إليه من أدلة من خلال لفته إلى بدء الخليقة ، وكيفية النشأة ، والانتقال من طور إلى طور حتى أحكم أسره ، وتركيبه في صورة تدل على عظمة الخالق ، لكنه الإصرار والعناد على عدم تشغيل الفكر ، وسيظل هكذا في غيه وضلاله حتى يدرك ذلك محسوسًا « فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر » ، حينها يشعر بالخوف والرعب .

إذن القضية الأساس في سورة القيامة هي إنكار البعث ، الذي عُبر عنه في أول السورة بالاستفهام الإنكاري « أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ » لكنه العناد « بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ » .

ثم ختم السورة بقوله مستفهمًا استفهامًا يحرك العقل « أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ » طارحًا سؤالاً هو المقصود لعلهم يفيقون من غفوتهم وإصرارهم على العناد « أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ » ، ثم جاء الحديث متصلاً في سورة القيامة : « هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا » .

في سورة القيامة جعل الإنسان بصيرًا

[1] كتاب دلائل الإعجاز صـ ٥٥ .

على نفسه، بما أودع فيه من عقل فقال: « بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ»، أي: أنَّه بصير بحال نفسه، هل هو شاكر أو كفور ، وفي سورة الإنسان أوضح سبب كونه بصيرًا بنفسه فقال : « إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا».

في سورة القيامة ذكر حبهم للعاجلة، أي : الدنيا بعد الحديث عن القرآن ، فقال : « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ» .

وفي سورة الإنسان : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» .

واضح في السورتين التعبير عن الدنيا بالعاجلة في سياق الحديث عن القرآن الكريم ، وحين يعبر عن الدنيا بالعاجلة في هذا السياق يلحظ شَيْء مهم هو عدم التأني لسماع ما في القرآن من دعوة للتدبر والتأمل في الأمور، حتى ينشغل العقل بها .

في «سورة القيامة » لم يتطرق التعبير إلى كيفية التأني في التعامل مع القرآن ، أمَّا في «سورة الإنسان » فقد فصَّل فذكر «فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا» أي : أعمل عقلك ولا يغرنك حب الشهوات على إعمال العقل والفكر ، « وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا » أي اشغل فكرك وعقلك بمعية الله سبحانه .

كذلك تأمل هناك : «وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ» ، وهنا « وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا»، ومعنى الآيتين مشترك من حيث التهويل والتشنيع لهؤلاء المتعجلين، لكنها في سورة الإنسان أقوى حيث وصف اليوم بالثقل ، نظرًا لأنَّ سورة القيامة عتاب لكل الإنسان ومن ثم توجه إليهم بالخطاب بـــ «تحبون».

أمَّا في «سورة الإنسان » فالحديث موجه للفئة الضالة « الآثم والكفور» ومن ثم عبَّر عنهم بضمير الغائب ، وأشار إليهم بالإشارة للبعيد فقال إن هؤلاء يحبون العاجلة .

«سورة القيامة» : ذكرت مظهرين لحالة الناس يوم القيامة ، دون ذكر مقدمات لهذين المظهرين « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» .

وفي « سورة الإنسان» فصَّل فذكر السبب، وما يوصل إلى ذلك المظهر فقال تعالى: «إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا» ثم «إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا»، لاشك أن أثر ذلك يظهر فيما ذكرته سورة القيامة وجوه ناضرة هي المنعمة، ووجوه باسرة هي المعذبة .

في « سورة القيامة » تدرج في بعث الإنسان بما هو أدعى لتوبيخه بسبب جهلة قدرة الخالق « أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ» ثم تدرج في البعث من جمع العظام إلى تسوية البنان ، من الأدنى إلى الأرقى وكذلك في أطوار الخلق «أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن

مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ» .

وفي « سورة الإنسان » تدرجٌ في الخلق من أدنى إلى أرقى ، «إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ» ، ثم تدرج إلى : « نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ » ، ومن ثم يتبين لنا أن «سورة القيامة» تركز على البعث بعد الموت من خلال الترقي في البعث، وكذلك الخلق ، و«سورة الإنسان » تؤكد ذلك، وتحقق من خلال القدرة على الإيجاد من العدم، ولاشك أن الثانية دليل على وجود الأولى.

هذه هي المعاني الملتقاه في السورتين، وربط كل معنى بسياقــه في السورة .

ثانياً : علاقات المعاني بين سورتي الإنسان والمرسلات .

ذكر الإمام البقاعي[1] في مناسبة « سورة المرسلات » بـــ « سورة الإنسان » ما يكشف عن أَنـَّها متممة لسورة الإنسان، من حيث إثابة الشاكرين، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم في يوم الفصل ، ولما ختمت سورة الإنسان بالوعد والوعيد ، وكان الكفار يكذبون بذلك، افتتحت هذه السورة بالأقسام التي تؤكد وتحقق وقوع هذا الخبر، فأقسم سبحانه بـ «سورة المرسلات عرفا والعاصفات عصفا والزاجرات زجرا «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ » أي ما وعدتم به من النعيم والشقاء – المتمثل في «إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا» و« إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا».

في «سورة المرسلات » تفصيل لما أجمل في « سورة الإنسان »في وصف العذاب والنعيم ويتجلى ذلك في الأمور الآتية :-

١- ذكر اليوم في « سورة الإنسان » ثلاث مرات بوصف موجز، فهو : «يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا » ، «يَوْمًا ثَقِيلًا» ، «يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا» هذا على الكفار، أمَّا غيرهم من المؤمنين الشاكرين ، فقد وقاهم الله ذلك ، إذًا هذا اليوم يحمل جانبا من الشر لهؤلاء العصاة ، وفيه جانب من الخير حينما يقيهم الله شروره، فناسب أن يكون المقسم به في السورة اللاحقة ما من شأنه أن يحمل الجانبين وهي المرسلات، سواء أكان المقصود بها : الرياح أم الملائكة ، ثم وصف المرسلات بكونها عاصفة ، ناشرة ، فارقة لأجل : « عُذْرًا أَوْ نُذْرًا»، يقول البقاعي في استخراج هذه اللمحة: « ولما ذكر هذه الأقسام عللها بقوله: «عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ...» أي كانت هذه منقسمة إلى عذر إن كانت ألقت مطرًا نافعًا مريئا مريعًا غير ضار كان بعد قحط فإنه يكون كأنه اعتذار عن تلك الشدة ، وإن كانت الملائكة ألقت بشائر فهي واضحة في العذر، لاسيما إن كانت بعد إنذار ، وإلى نذر إن كان ألقت صواعق أو ما هو في معناها من البرد الكبار ونحوها ، وكذا الملائكة ، والكل سبب لذكر الله وهو سبب لاعتذار الناس بالتوبة ، وسبب لعذاب الذين

[1] ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٨١/٨ .

يغفلون عن الشكر، ويستقبلون ذلك بالمعاصي»[1].

ثم تناول الجانب التفصيلي لهذا اليوم فقال تعالى في « سورة المرسلات » : « فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ» .... «هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ - هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ » .

٢- ذكر لفظة المكذبين وتكرارها في السورة ، والمكذبون هم الصنف الذي عبرت عنه «سورة الإنسان » بالكافرين ، والآثمين والظالمين ، فمع كفرهم وإثمهم وظلمهم يكذبون الآيات والأدلة التي توضح نتيجة كفرهم .

٣- تفصيل جانب الشقاء والعذاب للكفار الذي أجملته سورة الإنسان في قوله : « إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا» ، واختيار السلاسل يتناسب تمامًا مع سورة الإنسان، نظرًا لإعطائه الحرية الكاملة للتميز والإدراك بعد وضوح الآيات : « إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» فاستخدم هذه الحرية في عكس ما يبتغي أن يعقله ، فكان القيد بالسلاسل هو النتيجة لذلك ، وفي « سورة المرسلات » ناسب أن يأتي العذاب في صورة أوامر تهكمية – «ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ - ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ - لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ... فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ، ... كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ » .

٤- في ذكر نعيم أهل الجنان ذكر الظل في السورتين فقال في « سورة الإنسان »« وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا» ، فأبان هنا عن الظلال ووسيلته ، أمَّا في « سورة المرسلات » فأوجز قائلًا : «إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ» أمَّا وسائل النعيم الأخرى فقد ظهر التفصيل فيها في «سورة الإنسان»، وأجملته سورة المرسلات في قوله : «كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» .

٥- قضية خلق الإنسان هي القضية الأساس في «سورة الإنسان » لتحريك العقل نحو الإيمان بالبعث ، وعليها دارت محاور السورة – أمَّا سورة المرسلات فاستخدمت الاستفهامات المتعددة التي يراد منها التبكيت والتوبيخ ، وكلها قضايا لتحريك العقل أيضًا ، ثم أُتبعت بالأوامر التي يراد بها التبكيت أيضًا، بدأتها « سورة المرسلات » بالتدرج فقال تعالى : «أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ » .. «أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ» ، «أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا» . ومن ثم كان المناسب - بعد التدرج في ذكر هذه الأدلة وبعد القسم الذي أقسمه الله في مفتتح السورة - أن تكون خاتمتها : « فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ» .

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٢٨٢ .

ثالثاً : علاقات المعاني في سورة الإنسان.

الهدف من دراسة العلاقات هنا، هو: الكشف عما بين آيات السورة الكريمة ومحاورهم من حبك وسبك، يجعلها في خيط واحدٍ، يشد بعضها إسر بعض في النهوض بالغرض الأساسي، بدءً من مطلعها ومرورًا بمحاورها وانتهاءً بخاتمتها .

وأستطيع هنا أن أذكر العلاقات بين المحاور الرئيسة ، ومدى ارتباط بعضها ببعض في خدمة المقصد الرئيس للسورة ، أمَّا علاقة الآيات وارتباط بعضها ببعض من تفريع وتوليد وتفصيل وإجمال وبيان ، فذلك موضعه في التحليل البلاغي داخل آيات المحور الواحد حتى نتلاشى التكرار هنا .

المحور الأول : «تحريك العقل نحو قضية خلق الإنسان » ويتفرع من هذا المحور فرعان هما : الإيمان بقضية البعث، ثم الانطلاق منها إلى بيان الهدف من خلق الإنسان ، وهذا ما أثارته خاتمة سورة القيامة في قوله تعالى : «أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ» .

يلاحظ أن «سورة الإنسان » بدأت بالإجابة عن آخر آية في سورة القيامة وهي إجابة ما طُرِح في صيغة سؤال تقريري « أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ » ، فجاءت الإجابة – بعد تحريك العقل المثار في «هَلْ أَتَىٰ» - «إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا» .

إذن الربط واضح بين استهلال «سورة الإنسان» وخاتمة «سورة القيامة ».

المحور الثاني : تقسيم الناس بناءً على طرح هذه القضية إلى فريقين وجزاء كل فريق.

وعلاقة هذا المحور بما قبله واضحة فهي تقريع من تفريع ، لما ذكر في المحور الأول « نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا » أي : جعلناه مدركاً لكل
ما يحيط به ، عاقلاً لكل ما يعرض على عقله، وفي ذلك الجعل هداية له لإدراك الصواب من العمل والقول ، ومن ثم قال : « إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ » وعليه الاختيار، لما ذكر ذلك تفرع عن ذلك التقسيم : « إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» .

وفي اختيار الصيغتين «شاكر» على وزن «فاعل» و«كفور » على وزن «فعول» الأولى : اسم فاعل ، والثانية : صيغة مبالغة ، رحمة بالعباد ، وليشمل أن الشكر مجاله أوسع وأرحب ، فبدأ بأقل شكر لأنعم الله ، وانتهى بأعلى درجة في الشكر، وهي: درجة الأبرار التي بدأ بذكر جزاء من يتصف بها .

ثم تفرع على هذين الوصفين هذا الجزاء : «إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» .

ويلاحظ أن التفريع جاء بادئًا بما انتهت به الجملة السابقة ، فذكر جزاء الكافرين أولاً ، ثم ثنى بجزاء الشاكرين : يقول البقاعي مبينًا سبب هذا الترتيب : « ليعادل البداءة بالشاكر في أصل التقسيم ليتعادل الخوف والرجاء ،

وليكون الشاكر أولاً وآخرًا ، ولأن الانقياد بالوعيد أتم لأنـــّـه أدل على القدرة»[1] – ويمكن أن يقال : أخر جزاء المؤمن لما سيترتب عليه من تفصيل وتفريع نثبته في النسق الداخلي لبناء المحور .

ويلاحظ – أيضًا – أنـــّه قال« إمَّا شاكراً» ، والشكر أقل الدرجات ثم ذكر جزاء الأبرار ، فكان الأوفق في الظاهر أن يقال : شكور ، ليتناسب مع كفور من ناحية ، ومن ناحية أخرى يتوافق مع درجات الأبرار ، ولكن ذكر ذلك – كما يبدو لي – ترغيبًا في أن أقل الشكر قد يصل بصاحبه إلى درجات الأبرار المقربين .

كما يلاحظ أن المخالفة التعبيرية بين الجزاءين حيث قال في جزاء الكافر: «إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا » أي : هيأنا ، وفي الأبرار لم يكن هناك إعداد وتهيئة ، وإنما كان هناك دخول في النعيم مباشرة ، وكأن الإعداد أمر طارئ وليس هو الأصل .

المحور الثالث : تثبيت النبي - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- على القيام بأعباء الرسالة والصبر على ما يلحقه من أذى ، والتحذير من أن يلين للكافرين .

« إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا» .

الأمر والنهي موجهان للنبي - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وهو من هو في الصبر والسجود لله، وتسبيحه آناء الليل وأطراف النهار ، وقد ذكر البلاغيون في مثل هذه الصياغات من الأوامر والنواهي أنه يراد بها الإلهاب والتهييج، وذلك في مقامات مواجهة الصعوبات، التي من شأنها إحداث زلزلة في النفوس، حينذاك يكون الأمر بالثبات على المبدأ، اقرأ قول الله تعالى في أول سورة الأحزاب موجهًا الخطاب إلى النبي - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا» .

تجد الأمر الموجه للنبي - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- هنا يتفق تمامًا مع ما سيلقى إليه من أحكام في السورة القرآنية، من شأنها تهز النفوس هزًا ، فكان الأمر بالثبات على التقوى، وعدم إطاعة الكافرين والمنافقين في محاولة منهم للزعزعة .

تأمل صياغات « اصبر ، لا تطع ، اذكر ، تبتل ، اسجد ، سبح » .

تجد كل هذه الأوامر والنواهي إلهابا وتهييجاً ، معناها الثبات على المبدأ الذي سرت عليه ، وهذا يوحي بعظيم ما سيواجهه ، وقد مهد له ربه بذلك حين قال : « إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا» ، وفي التقديم هنا « إنا »، والتأكيد بـــ« نحن» ما يفيد تأكيد هذا الأمر واختصاصه بالله سبحانه، وفي هذا إشعار بطمأنينته - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ، أمَّا علاقة

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٢٦٦ .

ذلك بأحداث السورة فليس هناك أصعب من لفت الناس نحو ما يشغل العقل ويحرك الفكر نحو القضية الأساس التي من أجلها خلق الإنسان ، وما يستوجب ذلك من تفريعات يقتضيها البعث والحساب ، ومن ثم صدر المحور بقوله : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا » أي : فيه العلاج لكل داء، ومنها تحرير العقل خاصة نحو قضية البعث التي تكررت في القرآن الكريم ، كما أن فيه تسلية للنبي - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- من اختصاص الله سبحانه له بتنزيل القرآن عليه ، وفي ذلك توطئة له على الامتثال لحكم الله تعالى .

وليس أدل على ذلك من أن التعبير القرآني عقب على هذا المحور بقوله : « نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ » فالذي خلق قادر على الإعادة ، ولم يكتف التعبير بخلقهم فقط ، وإنما أعقبه بما هو أصعب وهو « وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ » وليس ذلك فقط ، بل أعقبه بما يدل على القدرة المهيمنة فقال : «وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا»

الأدلة واضحة قوية لكنهم لم يُعْمِلوا العقول، هذا ما أثارته العبارات قبلها، لماذا رغم وضوح الأدلة ؟ فجاء الحديث عنهم يجيب عن ذلك بضمير الغيبة والإشارة البعيدة : « إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» أي يحبون الدنيا ، وسميت العاجلة هنا ليتلاءم مع الصبر المأمور به من ناحية ، ومع عدم احتكامهم إلى العقل الذي يتطلب الأناه والصبر والحكمة ، فمن شأن العاجلة ألا يكون هناك صبر ، أو تمهل لإعمال العقل واستخراج الحكمة .

المحور الرابع : توجيه عام في خاتمة السورة يجمع كل خيوطها من بدايتها حيث تقسيم الإنسان بحسب إدراك الحقيقة، وما يترتب على ذلك من وجود صنفين ، وجزاء كل صنف .

ففي قوله تعالى : « إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ» والإشارة إلى كل ما مرَّ بالأداة «هذه» التي تستخدم في المحسوس ، وكأنها لشيوعها وتميز هذه الأمور إلى الحد الذي جُسِّد حتى يشار إليها ، وهي مسألة الخلق والقدرة المتمثلة في مباشرة العقل وخصوصيته بالله تعالى : « إنا ، إنا نحن » ، وقيام الأدلة على ذلك، ثم تكثيفها في نهاية السورة « نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا»، نرى كل شيء مرهونًا بمشيئته وقدرته سبحانه، فكان الأنسب لختم السورة ، إمَّا شاكرًا فيدخل في رحمة الله ، وإمَّا كفورًا ظلم نفسه لوضوح الرؤيا فأعد الله له عذابًا أليما .

أرأيت معي كيف بدأت السورة تجيب عن سؤال أشارت إليه سورة القيامة ، ثم كيف تفرعت المحاور عن القضية الأساس لتلتقي جميعها في خاتمة السورة «يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » .

❁ ❁ ❁

الفصل الثانـي

بناء المعاني في سورة الإنســان

ويشمل على مطلبين :

المطلــب الأول : بناء المعانـي في محاور السورة .

المطلب الثاني : الأنماط البلاغية والظواهر الأسلوبيـة .

المطلب الأول

بناء المعاني في محاور السـورة

تتضمن سورة الإنسان عدة محاور هي :

(١)بناء المعاني في تحريك العقل نحو قضية خلق الإنسان .

(٢)بناء المعاني في تقسيم الناس إلى فريقين بناءً على تحريك العقل ، ثم جزاء كل فريق .

(٣)بناء المعاني في جزاء الفريقين .

(٤)بناء المعاني في تثبيت النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على ما هو عليه من صبر واستغفار وتسبيح

(٥)بناء المعاني في خاتمة السور .

١- بناء المعاني في تحريك العقل نحو قضية خلق الإنسان، وتشمل الآيات من رقم (١) إلى رقم (٣) .

يقول تعالى : « هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » .

لا شَيْء أدعى إلى تحريك العقل ، ويقظته من غفلته في بناء الأساليب من الاستفهام إثباتًا ونفيًا ، يقول الإمام عبد القاهر في بيان مزيته « اعلم إنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار ، فإن الذي هو محض المعنى إنه لينبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب »[1].

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم حين يريد لفت العقل وتحريكه نحو قضية مهمة يستخدم الاستفهام، نحو قوله تعالى في قضية التوحيد : «أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» [سورة النمل الآيات ٦٠ : ٦٤].

وكذا قضية الرزق : «أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ» [سورة الملك آية رقم ٢١].

وقضية البعث من القضايا التي تحتاج إلى تحريك العقل ، ويقظته من غفلته من خلال إحالته إلى قضية نشأة الخلق ، يقول تعالى : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» [سورة ياسين آيات ٧٨، ٧٩] .

ففي تعريف المسند إليه بالاسم الموصول إيقاظ للعقل ، وإحالته إلى قضية الإنشاء أول

---

[1] كتاب دلائل الإعجاز صـ ١١٩ .

مرة ، تلك التي صرح بها التعبير القرآني في سياق آخر في قوله تعالى : « أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا» [سورة مريم ، الآية ٦٧] .

فإذا ما أريد الإبلاغ في هذا التحريك لمزيد من الإقناع العقلي والإمتاع العاطفي، كان التفصيل في مرحلة النشأة، مثلما بدأت به السورة الكريمة استفهاماً وتفصيلا «هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا » ، الاستفهام هنا محفز لإثارة الانتباه ، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنـّه للتقرير، وفي اختيار « الإنسان » كما أسلفنا ، لما تحمل الإنسانية من معان ، أسماها العقل والحرية في التفكير ، وفي قوله : «لَمْ يَكُن شَيْـًٔا» ، إمعان في قوة الدليل على قدرته – سبحانه - على البعث ، وفي التقييد بالوصف «مَّذْكُورًا» مثار خلاف بين المفسرين، أرجح ما ذهب إليه بعضهم من أنـّه كان شيئًا لكنه غير مذكور، يقول الطاهر بن عاشور : « إنـّه كان معدومًا زمنا طويلاً ، فلم يكن شيئاً يذكر، أي : لم يكن يسمى ولا يتحدث عنه بذاته »[1].

والآية الثانية «إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا » جاءت بعدها مفصولة عنها لما بين الآيتين من شبه كمال الاتصال ؛ حيث آثار الاستفهام والتقييد سؤالا مؤداه : من أوجده بعد هذا العدم ، وما سبب إيجاده ؟ فجاء الجواب : إنا خلقنا الإنسان ... نبتليه ، .. ، ثم فصل سبحانه كيفية النشأة بعد العدم ، لبيان قدرته سبحانه في أوسع معانيها، وقد ذكر التعبير شيئاً مهما ، ليس في تأكيد هذه النشأة ، ولا في تخصيصها به سبحانه حين قدم المسند إليه فقال : «إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ» ، ولا في ذكر المظهر مكان المضمر وإنما في الآتي :

ذكر لفظة فريدة في القرآن ، تطلبها السياق، واقتضاها المقام ، وهي : لفظة « أمشاج » ، التي خلا منها سياقات القرآن في حديثه عن أطوار نشأة الإنسان ، حتى لا يكون هنا أدنى مجال للتردد في قدرته سبحانه على البعث ، فـ « الأمشاج » جمع مشج أو مشيج، من شجت الشيء إذا خلطته لأنـّه من مني الرجل ومني المرأة ، وكل منهما مختلف الأجزاء ، متباين الأوصاف في الرقة والثخن والقوام والخواص »[2].

ثم في توضيح الغاية « نبتليه » والابتلاء هو : « الاختبار للتعرف حال الشيء ، وهو هنا كناية عن التكلف بأمر عظيم ؛ لأنَّ الأمر العظيم يظهر تفاوت المكلفين به في الوفاء بإقامته »[3] ، والفعل منه : « بلى يبلو» ، وافتعل منه للدلالة على المبالغة ، وجملة « نبتليه » جملة فعلية، حال مقدرة من الفاعل بمعنى مبتلين له ، ويحتمل من المفعول ، أي : خلقنا الإنسان مبتلى ، وتحتمل جملة فعلية

---

(1) تفسير التحرير والتنوير ١٤ / ٣٧٢ .

(2) نظم الدرر ٨/ ٢٦١ .

(3) تفسير التحرير والتنوير ٣٧٥/١٤ .

للتعليل بمعنى لنبتليه كما ورد في سورة الملك «لنبلوكم » لكن لم يقل هنا « لنبتليه » لتكثير المعنى .

وأرى أن هذه هي اللفظة المحورية في السورة، والتي تجيب عن الاستفهام المراد به النفي في سياق آخر « أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» .

هذه اللفظة « نبتليه » ، تحدد ماهية الإنسان ، والهدف من خلقه ، فهو إنسان، بمعنى : لديه من المدركات ما يستطيع بها عقل الأمور وفهمها .

٢- بناء المعاني في تقسيم الناس إلى فريقين :

تم تصنيف الإنسان بحسب هذا المدرك إلى قسمين : منهم من يعقل الأمور ويضعها في نصابها ، ومن ثم لا يقيم للدنيا وزنا فهو في رحمة الله ، ومنهم من لا يعمل عقله فيؤثر الحياة الدنيا وهؤلاء هم أصحاب العاجلة ، ثم كانت النتيجة الحتمية آخر السورة جراء هذا الابتلاء : «يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» .

ثم فرع على كونه إنسانًا خلق للابتلاء قوله: « فجعلناه سميعًا بصيرًا »، ومقتضى الظاهر أن يكون الترتيب « إنا خلقنا الإنسان فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه » ؛ لأنَّ من لوازم الابتلاء في الظاهر أن يتقدم على الابتلاء ، لكن في التعبير القرآني حيث تقديم الابتلاء ، ثم يتبعه بلوازم ذلك ، ما ينسجم مع طبيعة الإنسان المجبولة على النسيان ، والتي من أجلها سمي« إنسانا » ، فكأن الابتلاء هو المحرك لتنشيط العقل من خموله ، وبها يصبح سميعا بصيرًا حقًا ، ومن ثم تكون عبارة « فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا» مسببة عن الابتلاء ، وليس المراد كما ذكر الألوسي أنـّه « تذكير منه لنا بنعمه ، وتنبهه على موضع الشكر»[1].

وفي تقديم السمع عن البصر وهو المتبع أينما وردت اللفظتان في القرآن لأنَّ السمع أوسع إدراكًا من البصر .

أمَّا إيثار فـ «جعلناه » وعطفها على «خلقنا» ، فلأن الخلق إيجاد الشيء من لا شَيْء ، أمَّا الجعل فهو أمر طارئٌ على هذا الإيجاد كالسمع والبصر « أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ» ، ويلاحظ أن تقديم السمع والبصر على الهداية في هذه الآية وآية « سورة الإنسان » ، نظرًا لأنَّ بدونهما تتعسر الهداية ، فهما سبيلان قد نشطهما الابتلاء للوصول للهداية .

«إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» ، فصلت هذه الجملة عن التي قبلها، لما بين الجملتين من كمال الاتصال ، فكأن من جملة الابتلاء ، تحريك العقل وهداية السبيل ، ثم في العبارة احتراس، جئ به لنزع ما قد يتوهم أن العقل وحده هو الموصل الطريق الهداية ، فلابد من وجود الأدلة الواضحة المتمثلة في هداية السبيل يقول البقاعي : « أنزل الله من الكتب وأرسل من الرسل ونصب من الأدلة

[1] روح المعاني ١٢/ ١٢٧ .

في الأنفس والآفاق ، وجعل له من البصيرة التي يميز بها بين الصادق والكاذب وكلام الخلق والحق والباطل وما أشبهه »[1].

ولم يأت التعبير القرآني « فهديناه السبيل » لبيان أن الهداية موجودة منذ بداية خلقه وتكوينه ، وليست مرتبة على وجود السمع والبصر .

ولم يؤت بالفاء فيقال « فإما شاكرا وإما كفورا » حتى لا يكون الشكر والكفر متفرعين عن الهداية المذكورة ، وإنَّما النظم بدونها يشعر بحرية الإنسان في الاختيار .

وأمَّا اختلاف الصيغ بين «شاكر» و« كفورا» يوضحه أبو السعود في قوله : «وإيراد الكفور لمراعاة الفواصل ، والإشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما وإنَّما المؤاخذ عليه الكفر المفرط »[2] ، ويفصل ذلك البقاعي بقوله : «لأنَّه لا يقدر أحد أن يشكر جميع النعم ، فلا يسمى شكورا إلَّا بتفضل من ربه عليه ... ولما كان الإنسان لما له من النقصان لا ينفك غالبا عن كفر ما ، أتى بصيغة المبالغة ، تنبيهًا له على ذلك معرفًا له أنَّه لا يأخذ إلَّا بالتوغل فيه ليعرف نعمة الحلم عنه فيحمله الخجل على الإقبال على من يرضى منه بقليل الشكر »[3].

ويمكن أن يقال هنا : لماذا لم يأت التعبير القرآني ، إما مهتديًا وإما ضالاً ليتسق مع « هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ »؟! والإجابة – فيما يبدو لي – أن التعبير بالشكر أعم لأنَّ فيه الهداية وزيادة ، فالهداية تستوجب من الإنسان أن يدرك نعم الله عليه المتمثلة في كونه إنسانًا أنعم الله عليه بنعم لا تحصى منها كيفية خلقه ونشأته وتميزه بالعقل وحرية الاختيار ، وهذه النعم تستوجب الشكر ، أمَّا من لا يعترف بنعم الله فهو الجاحد له ، وهذا شَيْءٌ لا نجده في معنى الضال المتحير .

(٣) بناء المعاني في جزاء الفريقين ، وتشمل: الآيات من رقم ٤ إلى رقم ٢٢.

أولاً : جزاء الكافرين .

« إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا» .

الاعتداد : افتعال من أعد الشيء : إذا هيأه وجهزه ، وفي بنائها على الافتعال مبالغة في هذا التجهيز ، وفي التعبير بالماضي لتأكيد حصول وقوعه و«الكافرين» هنا، هم : «الكفور» الذين ذكرهم في الآية السابقة عليها، « إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» ، وسبب العدول يرجع إلى أنه إذا كان المنصوص عليه من العذاب هو معد وجاهز للكافر فما بالك بمن هو أشد كفرًا منه «كفورا » .

والشيء المعد هو « سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا» ، تلك هي أدوات التعذيب ، «سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا » تعذيب نفسي ، والسعير تعذيب جسدي، وفي اختيار التعذيب النفسي هنا «السلاسل والأغلال » ما يتلاءم مع الحرية

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٢) تفسير أبي السعود ٥/ ٨٠٠ دار الفكر .
(٣) نظم الدرر ٨/ ٢٦٥ .

التي أعطاها الله له لكنه لم يحسن استغلالها .

وفي تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي «إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا » لينسجم مع «إنا خلقنا» ، و« إنَّا هديناه » ، فكما أن الله بعظمته وقدرته قد أنعم على الإنسان فأوجده وهداه ، تولى هو- أيضًا- بعظمته وقدرته محاسبته على جحود هذه النعمة :

أمَّا تقديم الحديث عن جزاء الكفار فذلك يخالف في الظاهر بناء الآية السابقة التي قدمت « الشاكر عن الكفور »، ولعل ذلك يرجع إلى الإيجاز في الحديث عنهم ، والتفصيل في جانب الحديث عن الأبرار حتى يفسح لهم المجال ، وكذا إشعار المؤمن بما هو فيه من نعيم أخروي ، يقول أبو السعود : «وتقديم وعيده مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى : « يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ »[١].

ثانياً : جزاء الأبرار .

«إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا» إلى آخر الآيات.

يلاحظ أن الحديث عن جزاء الأبرار جاء مطنبًا ، إذ لم يكتف التعبير القرآني بذكر ما يتنعمون به في الجنة، كما ذكر في الجانب الآخر ممن اقتصر الحديث عن عذابهم في الآخرة فقط ، وإنَّما هنا أردفه بالحديث عن سبب هذا النعيم .

التدبر البياني لهذه الآيات :

جملة : « إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ » مفصولة عما قبلها ، لما بين الجملتين من شبه كمال الاتصال ، لأنها جواب لسؤال أثاره الحديث عن جزاء الكافرين وهو : ما جزاء الأبرار إذن ؟! فجاء الجواب : إن الأبرار ... ، كما يلاحظ أن التعبير في جانب الكفار قال : « إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا ...» أمَّا في جانب الأبرار فقد عدل عن ذلك قائلاً : «إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ» ، وفي هذا إخبار بأن وسائل النعيم جاهزة لا تحتاج إلى إعدادٍ ،لأنها الأصل ، وأن الجحود والنكران حالة استثنائية لا تتلاءم وما خلق له الإنسان[٢].

كما عدل عن ذكر المقابل للكفار ، وهم : الشاكرون أو المؤمنون ، إذا فسِّر الكفر بجحود النعمة، أو جحود الوحدانية إلى ذكر الأبرار ، زيادة في الثناء عليهم يقول الألوسي : « وإيرادهم بعنوان البر، للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية مع تجديد صفة مدح لهم »[٣].

والفعل : « يشربون » لإفادة التجدد ، وخص النعيم بالشرب هنا، لما في الشرب من تغلغل للنعيم في أجسادهم ، وحذف مفعول الشرب لتذهب النفس فيه كل مذهب .

وقد عدى فعل الشرب هنا بحرف الجر «من» علمًا بأنـَّه تعدى إليه بالباء في قوله «

---

(١) تفسير أبي السعود ٥/ ٨٠٠ .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ٥/٨٠٠ .

(٣) روح المعاني ١٥٤/٢٩ .

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا» ، يقول الزمخشري « لأنَّ الكأس مبدأ شربهم وأول غايته ، وأمَّا العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى : يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل»[١].

ويرى أبو السعود أن الباء تفيد المصاحبة « أن يجرونها حيثما شاءوا من منازلهم إجراء سهلاً لا يمتنع عليهم بل يجري جريًا بقوة واندفاع »[٢].

عباد الله : المراد بهم الأبرار ، وفي إضافة العباد لله انتقال من التكلم إلى الغيبة ، لاستحضار معنى الألوهية والعبودية لله تعالى ، وفيها تشريف لهؤلاء العباد .

يفجرونها تفجيرًا : التفجير يوحي بالغزارة والاندفاع، وفي هذا إشارة إلى أن عطاءها داخلي، فهي لا تمد من الخارج حتى لا يتوهم انقطاعها ، وفي ذلك مزيد اطمئنان لهم، يقول الطبري : « يقول تعالى ذكره يفجرون تلك العين التي يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا»[٣].

ومن ثم يتبين لنا أننا أمام رقي للبشر، حيث بدأ بالأبرار يشربون من كأس مزجت بالكافور ، ثم أتبع ذلك بعباد الله وهم يشربون بالعين التي لا ينقطع ماؤها ولا ينضب ، بل حيث تكون الإرادة يكون التفجير .

٣ - أسباب هذا الجزاء ويشمل الآيات من ٧ : ١٠ .

« يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا» .

تدور الأسباب حول إخلاص العباد لله سبحانه وتعالى ، واستحضار عظمته في القلوب والأفعال ، وهذا يقتضي أن يكون السبب هو الإيفاء بالنذر – وإطعام الطعام، والخوف من الله سبحانه وتعالى ، وقد صيغت هذه الأفعال في صياغة تدل على التحدد والحدوث « يوفون » « يطعمون» «يخافون» ، وعلاقة جملة « يوفون » بما قبلها علاقة الجواب بالسؤال، فـ « كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل : يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم »[٤].

والوفاء بالنذر يكشف عن حالة حضور الله سبحانه وتعالى في قلب هؤلاء الأبرار ، ثم عطف عليها بالواو جملة «وَيَخَافُونَ يَوْمًا» لما بين الجملتين من اتفاق في الخبرية مع وجود جامع بينهم وهذا يسميه البلاغيون الوصل للتوسط بين الكمالين »[٥].

ويؤثر التعبير القرآني «وَيَخَافُونَ يَوْمًا» على « ويؤمنون بيوم » وهذا أمر شائع في القرآن

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٦ .
(٢) تفسير أبي السعود ٥/ ٨٠٠ .
(٣) تفسير الطبري ١٢ / ١٢٨ .
(٤) تفسير أبي السعود ٥/ ٨٠١ .
(٥) أي التوسط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال ينظر بغية الإيضاح ٧٣/٢ .

الكريم حينما يصف رقة القلوب « وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ» ، وقوله : « يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ» وذلك لما للخوف من أثر في ضبط حركة الإنسان، يقول البقاعي : « وما فارق الخوف قلبًا إلا خرب ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، فالخوف لاجتناب الشر ، والوفاء لاجتلاب الخير »[1]، ومن ثم جمع بينهما هنا .

وتنكير اليوم لإفادة التهويل ، ووقوع الخوف على اليوم مجاز عقلي علاقته الزمانية لأنهم يخافون ما يحدث في هذا اليوم ، وفي الإسناد إلى الزمان مزيد من التهويل والتفخيم . وقوله « كان » بالماضي عدول في الصيغة ، فشر ذلك اليوم ليس واقعًا في الماضي ، ولكن اختار صيغة الماضي لبيان تحقق وقوعه . وفي اختيار « الشر» هنا دون العذاب ، ليشمل الجسدي والروحي، ويتلاءم مع السلاسل والسعير ، وفي قوله : « مستطيرا » لوصف هذا الشر استعارة تبعية ، للانتشار بجامع السرعة ، وإسناد الطيران إلى الشر فيه تجسيد يبعث في النفس الخوف والرهبة .

وفي عطف جملة الخوف على جملة الوفاء بالنذر دون جعلها علة، ما يشير إلى أن وفاءهم هذا ليس خوفاً من العذاب ، وإنما هو متأصل فيهم، إذ لو أريد غير ذلك لقيل : يوفون بالنذر لأنهم يخافون يومًا .

ومثله عطف جملة « وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ» ، وكان يمكن الاكتفاء بهذا في وصف الأبرار ، فكرم الطباع يتمثل في « يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ»، ورقة القلب تتمثل في «**يَخَافُونَ يَوۡمًا**» ، لكن التعبير القرآني أراد أن يعطي تطبيقا عمليًا لهذه الكوكبة المباركة ، فذكر لهم صفة الإيثار التي تجمع رقة القلب ، وكرم الطبع وهي : « وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ» ، وتأمل لفظة « **يُطْعِمُونَ**» دون يعطون لما فيه أيضًا من كرم في العطاء ورقة القلب من حيث مباشرة الفعل ، وفي ذكر الطعام مع العلم به من قوله « وَيُطۡعِمُونَ» يفيد « تأكيد استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة »[2] وأكد هذا الإيثار جملة الإتمام «عَلَىٰ حُبِّهِۦ» .

وفي ذكر المطعومين تدرج في الاحتياج من الأعلى إلى الأدنى ، فذكر المسكين الذي أذلته الحاجة حتى أوصلته إلى درجة السكون، ثم اليتيم الذي مات أبوه ولم يصل درجة البلوغ ، ثم الأسير وهو المسجون من أهل القبلة على أصح الأقوال .

ويلاحظ في سورة البلد عكس التدرج ، فقدم اليتيم على المسكين في قوله « فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ» . وسبب هذا التقديم – فيما يبدو لي – أن اقتحام العقبة يكون بأيسر الأمور وهو : إمَّا إطعام « يتيمًا ذا مقربة أو مسكينًا ذا متربة » .

---

(1) نظم الدرر ٨/ ٢٦٧ .

(2) التحرير والتنوير ١٤/ ٣٨٤ .

وقدم اليتيم القريب لسهولة إدراكه ، وجيء بـ « أو » لتنسجم مع هذا التيسير .

أمَّا في سورة الإنسان حيث الحديث عن الأبرار وعباد الله ، فقد جيء بـ الواو ليجمع فيهم هذه الصفات ، كما جيء بالأصناف الثلاثة غير موصوفة لتفيد التعميم ، فعملهم هذا ليس في يوم محدد كما ذكر «ذِي مَسْغَبَةٍ» ، وليس بسبب قرابة ، أو احتياج شديد «ذَا مَقْرَبَةٍ» ، «ذَا مَتْرَبَةٍ» .

وإنما هو في كل وقت وحين ومن ثم كان لعظيم هذا الإيثار، أن يثار تساؤل: ما سبب ذلك؟ فتأتي جملة «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» تجيب عن هذا التساؤل وتوضح سببه .

وفي الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وسر مواجهتهم بالخطاب ، حتى لا يتطلع على ذلك أحدٌ ، فلو قيل : « إِنَّمَا نُطْعِمُهُمْ » ، لوجدنا التشهير واضحًا جليًا، وقد بنى الأسلوب على القصر ، والمراد حصر الغاية من الإطعام على مرضاة الله سبحانه، ويرى صاحب التحرير والتنوير أن القصر المستفاد هنا « قصر قلب » ، لأنَّه « مبني على تنزيل المطعمين منزلة من يظن أن من أطعمهم يمن عليهم، ويريد منهم الجزاء والشكر بناءً على المتعارف عندهم في الجاهلية »[1].

ولكن يفهم من كلام الرازي بأن القصر المستفاد هنا قصر إفراد حيث يقول : « القوم لما قالوا : « إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» بقي فيه احتمال ، أنَّه أطعمه لوجه الله ولسائر الأغراض الأخرى على سبيل التشريك ، فلا جرم نفي هذا الاحتمال بقوله : «لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا »[2].

وجيء بأداة القصر « إنما » لأنها تأتي في الأمور المسلم بها ، أي أن ذلك الإخلاص منهم شيء مسلم به ، كما أنَّه يشي بشيء مهم هو: السرعة في إثبات هذا المعنى الإيجابي، نظرًا لحاجة السائل إلى سماعه على غير ما نرى في النفي والاستثناء .

وجملة «لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» ، مبينة لما سُكت عنه في جملة «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ» ومن ثم فصلت عنها ، لأنها بمنزلة عطف البيان .

وقُدِّم الجزاء لأن النفس ترغبه أولاً ، فإن لم يكن ذلك فالشكر ، فنفى ما هو أهم ثم أتبعه بما هو أقل أهمية .

«إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا» .

ذكر الزمخشري[3] أن هذه الجملة وقعت موقع التعليل من الجملة قبلها ، أي لا نريد منكم جزاء ولا شكورا لأنا نخاف من ربنا ، لكن عدم مجيء اللام ، حتى لا تنحصر في التعليلية فقط ، وتنكير « يوما » لإفادة تعظيم هذا اليوم وتهويله، وزاد من ذلك حينما وصفه بكونه « عبوسا » على المجاز العقلي، أي عبس أهله، وليس استعارة كما

---

[1] تفسير التحرير والتنوير ١٤/ ٣٨٥ .

[2] التفسير الكبير ١٠/ ٧٤٨ .

[3] ينظر الكشاف ١٩٦/٤ .

يرى صاحب التحرير والتنوير ، إذا أن العبوس ليس من لوازم الإنسان حتى يقول : « شُبه اليوم الذي تحدث فيه حوادث تسؤهم برجل يخالطهم يكون شرس الأخلاق عبوسًا في معاملته »[١].

وليس من لوازم الأسد كما يرى الألوسي[٢]، وقمطريرا ، صفة ثانية لهذا اليوم تزيد من صعوبته ، قال الأخفش : القمطرير : أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء ، والأصل فيه ما ذكره الزجاج، يقال اقمطرت الناقة: إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ، وزمت بأنفها ، فاشتقه من القطر ، وجعل الميم زائدة ومن ثم فوصف اليوم بها على سبيل الاستعارة .

« فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ».

الوقاية : هي : جعل ما يمنع من وصول ما يكره وصوله إلى شيء ما ، واختير التعبير بالوقاية ، لأن شر ذلك اليوم موجود ، وأن ما قدموا من أعمال وقاهم الله بسببها شر ذلك اليوم ، والتعبير بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه ، وفي الإشارة إليه بالبعيد ، ما يشير إلى بعده عن ساحة المؤمنين الأبرار .

ولم يكتف التعبير القرآني بذلك ، وهذه نعمة عظيمة ، وإنما عطف عليها ، ما هو داخل في مضمون الجملة الأولى ، وكاشف عن الحالة المضيئة المقابلة للصنف الآخر، فإذا كان شر ذلك اليوم تأثيره واضح على وجوه الكافرين حتى تراها عابسة مكفهرة ، فالمقابل هي تلك النضرة والسرور على وجوه من وقى شر ذلك اليوم ، وبين « وقاهم ، ولقاهم » جناس محرف ، كما أن بينهما طباق في المعنى لأن الوقاية من الشيء هي الستر والبعد عنهم ، واللقيا هي الاستقبال ، ثم قابل بين « العبوس بالنضرة » والخوف بالسرور ، ثم عطف على هاتين الجملتين « وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا » ، هذه ثلاث جمل في مكافأة الأبرار، الجملة الواحدة تكفي، لكن أراد التعبير القرآني أن يعدد لهم هذه النعم، وتلك المكافآت نتيجة صبرهم .

وجعل الجزاء معنى عاما يتمثل في «جَنَّةً وَحَرِيرًا» ، وسر جمع الجنة مع الحرير يوضحه الزمخشري بقوله : « فإن قلت : ما معنى ذكر الحرير مع الجنة؟ قلت : المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستانًا فيه مأكل هني وحرير فيه ملبس بهي »[٣] إذن فيه حسن تقسيم ، فالجوع يقابله بستان فيه مأكل ، والعري المتسبب عن الإيثار يقابله ملبس بهي .. ثم يندرج عن هذا المعنى العام حدوث الراحة النفسية المتمثلة في : « مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا

(١) التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٨٦ .
(٢) ينظر روح المعاني ١٢/ ١٥٦ .
(٣) الكشاف ٤/ ١٩٧ .

وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا» .

إن توضيح جزاء الأبرار بسبب صبرهم في قوله تعالى : « وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟» -وكان الصبر في السورة هنا هو : الصبر على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري- تطلب ذلك أن يكون نعيمهم في الجنة كل ما يبعث على الاطمئنان والاستقرار والراحة التي طالما حرموا منها في الدنيا ، انظر إلى مبعث ذلك كله في «مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا» ، وتقديم الجار والمجرور « فيها » ليجعل هذا الاستقرار في الجنة ، والاتكاء : جلسة بين الجلوس والاضطجاع وهي جلسة ارتياح ، لا تكون إلَّا من هو في إقامة دائمة ، والأرائك جمع أريكة ، وهذا الاتكاء يزيده راحة واطمئنانا حينما يكون الجو دافئًا في غير حرٍ نديًا في غير بردٍ ، « لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا» . يقول الطاهر بن عاشور « إن نفي رؤية الشمس كناية عن نفي وجودها ، ويلزمه انتفاء حرها ، فهو من الكناية التلويحية كقوله « لا ترى الضب فيها ينحجر » أي لا ضب فيها فتراه ولا يكون انحجاره »[1].

ويرى البقاعي أن الآية من الاحتباك حيث « دل بنفي الشمس أولاً على نفي القمر، لأن ظهوره بها لأن نور اكتسابه من نور الشمس ، ودل بنفي الزمهرير والذي هو سبب البرد ثانيًا على نفي الحر الذي سببه الشمس ، فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيرين ، لأنها نيرة بذاتها وأهلها غير محتاجين إلى معرفة الزمان ، لأنَّه لا تكليف فيها بوجه ، وأنها ظليلة ومعتدلة دائمًا ، لأن سبب الحر الآن قرب الشمس من الرؤوس»[2].

ومن الراحة أيضًا – أن يعطف عليها « وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا» ، وفي إيثار دانية – من الدنو وهو القرب- على « تدنو » لإفادة ثبوت هذه الصفة ، وتقديم الجار والمجرور « عليهم » لكون الأبرار هم محور الحديث، فقدمهم اهتمامًا بشأنهم ، ثم عطف على تلك الحالة ما هو أشد منها اطمئنانًا واستقرارًا لهم فقال «وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا» ، يقال فرس ذلول : أي خاضع ، وأرض ذلول أي : سهلة غير عصية ، ثم استعيرت للقطوف ، أي ما يقطف من ثمار ، أي لا تتعصى ولا تمتنع عن القطاف .

وسبب المخالفة بين الجملتين المعطوفتين ودانية ... وذللت « لأن استدامة الظل مطلوبة هنالك ، والتجدد في تذليل القطوف على حسب الحاجة »[3]، قال قتادة ومجاهد وسفيان : إن كان الإنسان قائماً تناول الثمر دون كلفة ، وإن قاعدًا أو مضطجعاً فكذلك ، فهذا تذليل لا يرد اليد عنها بعد ولا

---

(1) التحرير والتنوير ١٤/ ٣٨٩ .

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٢٧٠ .

(3) روح المعاني ١٢/ ١٥٩ .

شوك»[١].

ويلاحظ في نظم الآيات تقديم ما يبعث على الاطمئنان أولاً : وهو البعد عن الحر ودنو الظلال ، ثم أتبعه بلذة الطعام، وفي هذا ما بليي حاجات الإنسان ، ثم لما ذكر الطعام أتبعه بذكر الشراب ، فانظر كيف وصف شرابهم.

«وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِئَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ... الآية ».

الطواف : شيء مكرر حول شيء ، أو بين أشياء ، الآنية : قال الراغب هي: ما يوضع فيه الشيء ، أي ما يوضع فيه ما يشرب [٢].

ويفرق الفخر الرازي بين الآنية والكوب بما ذكره أهل اللغة . فيقول : « الأكواب هي الكيزان التي لا عري لها ، فيحتمل أن يكون على معنى أن الإناء يقع فيه الشرب كالقدح، والكوب ما صب منه في الإناء كالإبريق»[٣].

القوارير : جمع قارورة « وأصل القارورة إناء من زجاج »[٤].

جملة « وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِئَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ» معطوفة على ما قبلها لتكون من جملة النعيم التي ينعمون بها في الجنة ، وهذا ينسجم مع كونهم « متكئين » و«دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا» ، وبناء الفعل « يطاف » للمجهول لأن الاهتمام منصب على أهل النعيم ، وفي التعبير بالمضارع ما يشير إلى تجدد الطواف عليهم .

«مِّن فِضَّةٍ» : من بيانية أبانت عن نوعية هذه الآنية ، وفي اختيار الفضة ما يتلاءم مع ذكر القوارير، حيث الصفاء والشفافية ، وورد في سورة الزخرف « يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ » ويرى الرازي: أنـه لا منافاة بين الآيتين فتارة يسقون بهذا وتارة أخرى بذاك .

«كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا» القارورة كما قلنا : الزجاج، وقوله: «من فضة » ، أبانت عن التشبيه البليغ، فالمراد تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفافيتها ، وبين لون الفضة وبياضها[٥]، وفي وصف القوارير بقوله : « قدروها تقديرا » ليجمع بين الصفاء والنقاء والشكل .

وبعد هذه الأوصاف الشكلية المبهجة للرؤيا، ترى ما نوع شرابهم فيها؟!.

« وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا» . هناك عينا « يَشْرَبُ بِهَا» ، فالعبد يباشر الشرب بنفسه، وهنا « يسقون» بالبناء للمجهول، لينتظم مع ما قبله من تكريم « يطاف »، ذللت ، متكئين ، وفي الوصف الشكلي قال « آنية » ، أمَّا هنا فقال « كأس » ، على اعتبار أن الوصف وقع عليها قبل إفراغ السائل فيها، فلم أفرغ فيها صارت كأساً .

---

[١] البحر المحيط ٨/ ٣٩٦ .
[٢] المفردات في غريب القرآن مادة (أ . ن . ى) .
[٣] التفسير الكبير ١٠/ ٧٥١ .
[٤] تفسير التحرير والتنوير ١٤/ ٣٦٢ .
[٥] ينظر روح المعاني ٢٩/ ١٥٩ .

«كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا» : أي ممزوجة بالزنجبيل، وقيل: «عينا» بدل من زنجبيل لطعمه فيها [1]، ويرى أبو حيان[2] أن « عينًا » أبدلت من كأس أي : كأس عين .

« وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا » وهنا نتساءل عن سر المخالفة بين آيتي الطواف ، «يُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ » وهنا : «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ» .

يبدو لي أن النعم في الآية « يُطاف» يكمن في الشيء المقدم ، وهي الأواني ذات الشكل واللون الجميل، وهي تحمل لهم من الشرب ألذه وأمتعه.

والتنعم في الثانية يكمن في مرور الطائفين من الولدان عليهم ، وفي تقديم المطاف به على ذكر الطائفين ، ليتبع الحديث عن الطعام بالحديث عن الشراب ، ثم يأتي الحديث عن« الولدان » مرحلة ثالثة. وهذا يتناسب مع التفصيل الذي أرادته تلك السورة في وصف نعيم الأبرار ، فالحديث عن الولدان مقصود هنا، ومن ثم فصَّل فيه كما نرى على خلاف ما نرى في سورة الواقعة التي أدمجت المطاف والطائف في آية واحدة هي : « يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ »

ولدان مخلدون : أي : « دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم أبلغ منها، وذلك يتضمن دوام حياتهم وحسنهم ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة»[3].

والتعبير بـ «إِذَا رَأَيْتَهُمْ» يشير إلى أن في الجنة من النعيم ما قد يصرفهم عن رؤية «الولدان المخلدون » .

حسب : فعل من أفعال المقاربة ، وهي تستخدم حين يقرب الوجه بين طرفي التشبيه ولذا استخدمه التعبير القرآني حينما جيء بعرش بلقيس في قوله تعالى : «فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا» .

ومن ثم فالتقارب شديد بين الولدان المخلدون واللؤلؤ المنثور ، وتقييد اللؤلؤ بكونه منثورًا أعطى التشبيه روعة أبان عنها الفخر الرازي بقوله « هذا من التشبيه العجيب ، لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقا يكون أحسن في المنظر ، لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفاً للمجتمع منه »[4].

وتشبيه الطائفين من الولدان على أهل الجنة باللؤلؤ ورد في سياق آخر في «سورة الطور»، وهو قوله تعالى: « وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ» لكن في «سورة الإنسان» جعل اللؤلؤ منثورا، وهنا اللؤلؤ مكنون وهذا يتناسب مع سياق كل سورة ، فهناك «غِلْمَانٌ لَّهُمْ» والسياق يقول « وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ

---

(1) الكشاف ٤/ ١٩٨ .
(2) ينظر البحر المحيط ٣٩٥/٨ .
(3) التفسير الكبير ١٠/ ٧٥٣ .
(4) المصدر السابق ١٠/ ٧٥٣ .

أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» ، إذن الغلمان من جملة ذريتهم مقتصرين على خدمة ذويهم فناسب تشبيههم باللؤلؤ المكنون .

أمَّا هنا فالحديث عن الأبرار عامة ، وما يتمتعون به من رؤى حسنة جميلة فناسب أن يكون الولدان متفرقين في كل مكان ، ومن ثم وصفوا باللؤلؤ المنثور .

وجملة « وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا» معترضة بين الحديث عن الطائفين والمطاف عليهم وبين أوصافهم « عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ» ، لبيان أن النعيم يحل في كل مكان ، وأنه بلغ من الروعة والدهشة ما يلفت نظر كل من له عين يبصر بها ، فالخطاب هنا ليس لمعين كما يقتضي الأصل من الخطاب ، وإنما خرج ليشمل كل من تقع منه رؤية ، « والتقييد بـ « إذا » أفاد معنى الشرطية فدل على أن رؤية النعيم لا تتخلف عن بصر المبصر فأفاد معنى: لا ترى إلَّا نعيمًا »[١].

وحذف المفعول لإفادة التعميم « ومعناه أن يبصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلَّا بنعيم وملك كبير »[٢].

ثم يعود لوصف المقيمين المنعمين فيقول: « عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ» ، ومن ثم تكون « عاليهم » حال ، وصاحب الحال هو إمَّا الضمير في «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ» أو في «حَسِبْتَهُمْ» أو في الضمير في «وَلَقَّىٰهُمْ» أو« وجزاهم » ، أو مضاف مقدر قبل « نعيما» ، وعلى هذا يكون إمَّا ثياب الأبرار ، وإمَّا الولدان ، وإمَّا أهل نعيم[٣] ، وأرى أن المعنى لا يضيق بكل هؤلاء ، وهذا ما يؤيده حذف المفعول في و« وَإِذَا رَأَيْتَ» .

نعود إلى سبب ذكر ثياب أهل النعيم بعد ذكر التنعم بالمكان والمطعم والمشرب ، ومرور الغلمان عليهم ، نجد ذلك ينسجم مع قوله : « وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا» ، فذكر الحرير يلائمُه التفصيل في ذكر الملبس، ومن ثم اختار من الملبس «سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ» وجعله يعلوهم ، حتى تكتمل روعة المنظر .

والسندس ما رق من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه مرصعًا بالذهب[٤]، ناهيك عن اختيار اللون الأخضر .

أمَّا قوله: «وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا »، فالعطف على « عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ» ، لأنها من جنس ما يُلبس ، وفي بناء الفعل للمجهول دلالة على تيسر ذلك لهم وسهولته عليهم .

ويطرح الفخر الرازي سؤالاً هو : لماذا ذكر الله تعالى هنا الأساور من فضة، وفي سورة الكهف جعلها من ذهب، في قوله تعالى: «يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ» ، ثم يطرح عدة إجابات ، فيرى أنـَّه لا منافاة بين الأمرين ، فلعلهم يسورون بالجنسين، إمَّا على المعاقبة،

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٣٩٨/٢٨ .
(٢) التفسير الكبير ١٠/ ٧٥٣ .
(٣) المصدر السابق ١٠/ ٧٥٤ .
(٤) ينظر نظم الدرر ٨/ ٢٧٣ .

أو على الجمع كما تفعل النساء في الدنيا ، أو أن الطباع مختلفة، فرُب إنسان يكون استحسانه لصفرة الذهب فيعطي الله كل أحدٍ ما تكون رغبته فيه أتم ، وإمَّا على أن الفضة تكون للولدان الذين هم الخدم والأسورة للناس[١].

لكن يبقى أن التفصيل والترتيب هنا على خلاف ما ورد في « سورة الكهف » فهناك « أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ» .

أم في « سورة الإنسان » فبدأ بما انتهت به سورة الكهف – مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ- عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ - وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ ، ولعل هذا يتطلب دراسة السياق في السورتين ، وكيف تطلب التفصيل في سورة الإنسان عنه في سورة الكهف.

« وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » ترق في النعيم، حيث ذكر - إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ -ويَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ - وَيُسْقَوْنَ بالبناء للمفعول - وهنا سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ »

يقول أبو السعود « هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين ، ووصفه بالطهورية ، فإنه يطهر شاربه عن دنس الميل إلى الملاذ الحسية والركون إلى ما سوى الحق ... وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين »[٢].

ثم يختتم هذا النعيم بأحسن ختام هو قوله تعالى: «إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ».

حيث جمع اسم الإشارة واستحضر كل هذا النعيم ، ليجعله جزاء الصبر على كل ما تحملوه في الدنيا ، وإقحام لفظة « كان» « للدلالة على تحقيق كونه جزاء لا منًا عليهم بما لم يستحقوا »[٣]. وقد صرح التعبير القرآني بذلك في السياق قبلها حين قال « وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا» . ثم عطف عليه «وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا » نظير ما كانوا يصنعونه في الدنيا دون انتظار المن أو الشكر، «لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا» وفي إسناد المشكور إلى السعي مجاز عقلي، لأن الذي يشكر هو ساعية والعلاقة المفعولية [٤].

ويلاحظ في الآيات السابقة التي تتحدث عن النعيم كان ضمير الغيبة هو المتداول فوقاهم – ولقاهم – وجزاهم – لا يرون فيها – ودانية عليهم – ويطاف عليهم – يسقون فيها – عاليهم ثياب – وسقاهم ربهم . ثم انتقل التعبير من الغيبة إلى الخطاب في قوله « إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا »

لتكريمهم من خلال حضورهم ومجابهتهم بهذا التكريم .

٤- بناء المعاني في تثبيت النبي - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- على ما هو عليه من صبر

---

(١) ينظر التفسير الكبير ١٠/ ٧٥٥ ، والكشاف ٤/ ٦٦١ .

(٢) تفسير أبي السعود ٥/ ٨٠٤ .

(٣) التحرير والتنوير ١٤/ ٤٠١ .

(٤) المصدر السابق ١٤/ ٤٠١ .

واستغفار وتسبيح وتشمل الآيات من آية ٢٣ إلى آية ٢٦ .

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» .

٤ - علاقة هذا المحور بما قبله :

يرى أبو حيان والبقاعي[١] أن الله تعالى لما ذكر حال الإنسان وقسمه إلى العاصي والطائع ذكر ما شرف به نبيه محمد - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ، ويأخذ الطاهر بن عاشور هذا الرأي، ويضيف إليه أنـه « تثبيت لرسول الله والربط على قلبه، حتى لا تلحقه آثار الغم على تقلب قومه على كفرهم وتكذيبهم ، فذكره الله بأنـه نزل عليه الكتاب لئلا يعبأ بتكذيبهم»[٢].

وتأسيسًا على هذا أرى أن الله سبحانه وتعالى – لما أطال في ذكر أحوال الناس في الآخرة ، وخاصة النعيم الذي أعده الله للمتقين ، والرسول يدعو قومه ويجد فيهم العنت والتكذيب والعصيان ، كل هذا من شأنه أن يضعف من العزيمة البشرية ، فأراد الله أن يثبته من ناحية ، ويظهر نعمة الله عليه من ناحية أخرى، فقال تعالى مؤكدًا ذلك: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا».

وفي «تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لأنَّ تأكيد على تأكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل، ليتقرر في نفس رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- أنـه إذا كان المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلَّا حكمة وصوابًا»[٣].

ومن ثم جاء الأمر بالصبر مقترنا بفاء السببية ، أي ما دام الأمر كذلك فاصبر- والصبر هو حبس النفس وضبطها ، ويأتي في القرآن متعديًا باللام تارة ، وبـ « على » تارة أخرى ، يتعدى بـ « على » حينما يكون الواقع أليمًا ، «وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا» ، ويتعدى باللام هنا لتضمنه معنى الخضوع والطاعة للأمر الشاق الذي يحمل في طياته كل الخير .

« وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا» ، الخضوع والانقياد لله سبحانه يتضمن النهي عن طاعة الآثم والكفور ، لكن التعبير القرآني نص على النهي رغم وضوحه في الأمر السابق للتأكيد ، ولبيان العلة في النهي عن طاعتهما ، وهي كونهما موصوفين بالآثم والكفور وعدد الآثم والكفور ، رغم أن الكافر آثم نظرًا « لأن الكفور مبالغة في الكفر ومن ثم صلح التغاير بينهما »[٤] ، وعطف بينهما بـ « أو » لأن « الانتهاء عنه لا يتحقق إلَّا بالانتهاء عن كل منهما ، ولو عطف بالواو لم يفد ذلك ؛ لأن نفي الاثنين لا يستلزم نفي كل منهما » [٥].

---

(١) ينظر البحر المحيط ٣٦٦/٨ ، ونظم الدرر ٢٧٣/٨ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٤/ ٤٠٢ .

(٣) الكشاف ٤/ ٢٠٠ .

(٤) تفسير البحر المحيط ٨/ ٤٠١ .

(٥) نظم الدرر ٨/ ٢٧٦ .

ومعلوم أن الأوامر والنواهي في «فاصبر – ولا تطع- واذكر – فاسجد – سبحه» ملتزم بها رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- لكنها وردت على سبيل الإلهاب والتهييج ، أي : للثبات على هذا الأمر ، حتى يكون عونا له على الصبر : وفي اختيار ذكر الرب، وإضافته إلى كاف الخطاب « ربك» تجد تأكيد ذلك .

وفي تقييد الذكر بهذين الوصفين « بكرة وأصيلا » يشمل ما بينهما من باب أولى ، فالبكرة هي مفتتح اليوم ، فإذا ما بدأ يومه بالدخول في المعية سيظل طوال يومه بعزيمة قوية ، حتى إذا ما جاء الأصيل وبدأ الفتور نظرًا للعناء ذكرته الآية بالزمن فعاود النشاط مرة أخرى .

أمَّا « الليل » فقد قرنه بـ « من» التبعيضية ، ليخص بعضا من الليل بالسجود لله نظرًا لأنَّه زمان الراحة والخلود إلى النوم، فكانت العبادة فيه وخاصة فريضة الصلاة تحتاج إلى قدر من المجاهدة ، ومن ثم جاء الأمر بالسجود في الليل مغايرًا في بنائه التركيبي للتذكير بالنهار ، ففي الأول ذكر الأمر ثم الزمان ، وفي الثاني ذكر الزمان ثم الأمر . يقول أبو السعود « وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص»[1].

والتنويع في الأمر بين الذكر والسجود والتسبيح يعطي فسحة حتى لا يمل الإنسان من الركون على وتيرة واحدة في العبادة .

٥ - عودٌ على بدءٍ بناء المعاني في خاتمة السورة .

وتشمل مسألتين هما تلخيص كل ما ورد في السورة الكريمة ، ومن ثم تحقق في السورة حسن الختام .

المسألة الأولى . أهمية العقل في تدبر الأمور وتحريكها نحو قضية الخلق .

« إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا» .

أمَّا علاقة هذا بما قبله . فتتجلى في السياق المباشر قبلها ، وهو أن النهي عن طاعة الآثم أو الكفور يثير تساؤلاً ، لماذا النهي عن إطاعتهما فيأتي هذا المحور ليجيب عنه ، كما تتجلى في مساق السورة كاملة ، فالآثم أو الكفور هو الذي لم يحرك عقله وذهنه لإدراك حقيقة الخلق وكنهه ، رغم وضوح الأدلة لديه من خلال ما وهبه الله من عقل وحرية في تحركه ، وهؤلاء هم المقابلون للأبرار الذين حركوا عقولهم فانقادوا لله ، ومن ثم أطلق في هذا السياق العاجلة وكأنها تشير إلى حياتهم الخالية من الاحتكام إلى العقل الذي يتطلب الأناة والصبر والحكمة ، أي : يعجبون بالدنيا ولا يفكرون فيما وراءها مما يستدعي إعمال العقل واستخراج الحكمة ، ومن ثم كان المناسب لوصف يومهم بالثقل فقيل « يَوۡمٗا ثَقِيلٗا».

[1] تفسير أبي السعود ٥/ ٨٠٤ .

وفي مجيء اسم الإشارة « هؤلاء » لتميزهم أكمل تمييز ، وفي البعد دلالة على احتقارهم وامتهانهم ، والفعل المضارع «يحبون » يفيد تجدد ذلك لديهم. أمَّا قوله «وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا» « واقع موقع التكميل لمناط ذمهم وتحميقهم؛ لأنهم لو أحبوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا ذمومين»[١].

وفي اختيار « يذرون .. وراءهم » ما يشير إلى عدم مبالاتهم بهذا اليوم وفي وصفه اليوم «يَوۡمٗا ثَقِيلٗا» بهذا الوصف العجيب لبيان شطط عقولهم وتفاهة منطقهم ، وفي إسناد الثقل لليوم مجاز عقلي علاقته الزمانية ؛ لأن ما فيه من أحداث قد وصلت منتهاها حتى سرت إلى نفس الزمان الذي تقع فيها ، هكذا تخيلها من كان لا يتريث في الدنيا .

« نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلٗا» وكأنها إجابة لما وصفوا به من حب العاجلة ، إذ لو تريثوا وفكروا لعلموا قصة خلقهم ، وفي التصريح بـ «نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ» توبيخ وتبكيت على إيثارهم العاجلة على الآخرة ، ويمكن أن يُقال : إنها تعليل وبرهان على ما سبق من أحكام، وتقديم المسند إليه على الخير يفيد الاختصاص والتأكيد ، أي نحن المختصون بخلقهم، ومن ثم فحكمنا السابق عليهم ليس عن ظن، وإنما لكوننا خلقناهم، فنحن أعلم بحالهم، ولم يكتف التعبير القرآني بالخلق مجملاً، وإنما جمع مع ذلك قوله : «وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ» ، والشدُّ هو : «الإحكام وإتقان ارتباط الجسد بعضها ببعض بواسطة العظام والأعصاب والحروق ، إذ بذلك يستقل الجسم»[٢].

والأسر هو : الربط والتوثيق ، والمعنى كما يراه الزمخشري : « شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض ، وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب »[٣].

وفي هذا تصوير لقدرة الله في أعلى معانيها ، وتلك من خصائص الأسلوب القرآني في الحديث عن الخلق ، وتكتمل هذه القدرة العالية في قوله تعالى : «وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلٗا» ، التي تشي بوعيد شديد ، أي : قادرون على إفنائهم ، وإيجاد المثيل لهم في الخلقة .

المسألة الثانية : حرية الاختيار بعد توضيح الأمور والتذكر بها .

« إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا»

« إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞ» جملة موجزة تتضمن كل ما أرادت السورة الكريمة أن تقرره وهي تذكير الإنسان بخلقه وتميزه وانفراده بعقل يميز .

---

[١] تفسير التحرير والتنوير ١٤/ ٤١٨ .

[٢] المصدر السابق ١٤/ ٤١٩ .

[٣] الكشاف ٤/ ٢٠١ .

فكلمة «تَذۡكِرَةٌ» ، مصدر « ذكّر » ، وهي تشير إلى أن ما ورد في السورة واضحٌ بين لا ينكر ، ولا يحتاج إلى إقامة أدلة وبراهين ، وإنما هي مجرد تذكرة، وقد تفرع عنها الاختيار ، فمن أعمل عقله ، وأيقظ حسنه ، أدرك بفطرته الطريق الوحيد وهو اللجوء إلى الله دون إكراه ، ويلاحظ في أول السورة قوله: « هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ » ، وهنا : «ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا» ، ذاك لأن في آخر السورة الهداية محققة ، ولا تحتاج إلَّا إلى تذكرة تجعله يباشر الفعل وهو «اتخاذ السبيل » ، ولم يقل : « اتخذ إلى الله » وإنما «ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا» لما في الربوبية من رعاية تحس على اختيار الخير ، ويلاحظ أن في السياق التفاتا من التكلم : « نحن – خلقنا – شئنا – بدلنا » إلى الغيبة « إلى ربه » ولم يقل : إلينا ، لتوضيح صفة الربوبية.

وفي العبارة حذف جملة الشرط قدَّرها أبو السعود بقوله : « فمن شاء أن يتخذ إليه تعالى سبيلاً أي : وسيلة توصله إلى ثوابه اتخذه أي : تقرب إليه بالعمل »[1] ، وحذف الشرط هنا فيه إشارة إلى سرعة المبادرة في اتخاذ السبيل ، فكأن الشرط أمر مفروغ منه ، وأنه لا مجال لخيار آخر غير سلوك سبيل الله .

«وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ » امتنان الله على عباده حين يجعل مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل إلى الله ، وقد صيغت العبارة صياغة قوية ، حيث القصر بالنفي والاستثناء، وعلل ذلك بقوله : « إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» والإظهار هنا في مقام الإضمار ، لتكون قاعدة عامة في حياة المؤمنين ، لا تنطبق على هذه الحالة فقط ، وتقديم العلم على الحكمة ، لأن الحكمة التي تعني وضع الشيء في موضعه تحتاج إلى العلم الدقيق والعميق والشامل .

ثم تعود السورة في آخر آية من آياتها لتذكر بجزاء الفريقين ، وفي الوقت ذاته تجيب عن سؤال أثارته الجملة قبلها ، مضمونة: وما أثر مشيئة الله ؟.

فيجاب عن ذلك : يدخل في رحمته من شاء أن يتخذ إليه سبيلا ، وأنه أعد لمن لم يتخذ إليه سبيلا عذابًا أليماً .

ويلاحظ في التعبير أنـَّه تعالى عبر عن الجنة بالرحمة ، لبيان أن الإنسان لا يدخل الجنة بعمله ، وإنما يدخلها برحمته ، والتعبير بالرحمة عن الجنة مجاز مرسل علاقته المحلية ، وفي الجانب المقابل ذكر الظالمين ، لبيان سبب استحقاقهم العذاب فهم في السورة « كافرون ، آثمون ، ظالمون » ، وأثر هنا «الظالمون » نظر لأنـَّه تعالى لم يترك لهم شيئا إلَّا وضحه وبينه ، وذكرهم بهذا حتى لا يترك لهم مجال للاعتذار ، وأن تخطيهم كل هذا يعد مجاوزه للحد ، ومجاوزة الحد ظلم كما يلاحظ أنـَّه تعالى في جانب الظالمين « أعدَّ »، وفي جانب المؤمنين « يدخل » لما في الإعداد من تصوير حاضر وماثل يجعل النفس تتأمله وتتصوره ، أمَّا تقديم « الظالمين» وانتصابها على الاشتغال لفعل محذوف يدل عليه المذكور والتقدير : أعد للظالمين أعدّ لهم،

[1] تفسير أبي السعود ٥/ ٨٠٥ .

فيه تكرار لتأكيد ظلمهم ، كما أن فيه اختصاصا باستحقاقهم هذا العذاب .

ويلاحظ في خاتمة السورة أنـَّها ترتبط ارتباطًا وثيقًا ببدايتها ، ففي البداية الامتنان على الإنسان بخلقه من نطفة أمشاج ، ثم جعل له الأشياء التي من خلالها يستطيع الإدراك والتمييز بين الخير والشر ، ثم ذكر من يختار لنفسه طريق الخير ومن يختار لنفسه طريق الضلال ، وهنا في الخاتمة صاغ هذا المعنى بإيجاز دقيق لمحاور السورة وكل ما ترتب عليها من تقسيم الناس إلى قسمين بسبب نوعية اختيارهم ، وما يترتب على ذلك من الدخول في الرحمة أو العذاب .

المطلب الثاني

الأنمــاط البلاغيــة في الســورة

بعد هذه الدراسة التحليلية التي كشفت عن تلاقي المعاني وحسن نظمها بما يخدم الغرض الأساس في السورة، يجدر بنا أن نقف على أهم الأنماط التي وردت في السورة، وكان لها الدور الأساس في الكشف عن هذا الترابط وذاك الانسجام ، ولما كانت اللفظة هي اللبنة الأولى في بناء الجملة، بدأت بالحديث عنها، ثم أتبعها الجملة والجمل هذا في علم المعاني، ثم عرجت على البيان والبديع لنرى كيفية توظيفهما في السورة .

أولاً : المعانــي

١ـ الألفــاظ :

نلاحظ في السورة الكريمة ورود لفظتين فريدتين ، اللفظة الأولى : «أمشاج» في حديثه عن قضية الخلق، التي جئ بها استدلالاً على قضية البعث ، حيث كان ذكر هذه اللفظة الفريدة هو المناسب للسياق القوي، المبني على الاستفهام المحرك للعقل «هل أتى » ، والمناسب مع تقديم المسند إليه المفيد للتقوية والاختصاص «أَنَّا خَلَقْنَا» والمحفز على بيان قدرة الله سبحانه في أوسع معانيها ، ومن ثم كان المقابل لهذا البيان الواضح لوصف قدرة الله الإبلاغ في وصف العذاب، الذي أعد لهذا الجاحد، حيث كرر يوم العذاب لهم بما يحمل من غضب وشر وثقل .

هنا تأتي اللفظة الثانية في وصف اليوم العبوس بالقمطرير «قمطريرا » لتضيف مع عبوس هذا اليوم شدة ثقله وتباطئه ، فهي مع تفردها في القرآن لفظة مصورة بحروفها القاف الشديدة مع الطاء ، ومصورة في أصل معناها، إذ هي من : اقمطرت الناقة إذ رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها [1].

كما يلاحظ أن السورة آثرت من الألفاظ ما يدل على أصل المعنى وزيادة كاستخدامها صيغ المبالغة « سميعًا ، بصيرًا، كفورًا، شكورًا، طهورًا » كما استخدمت من الألفاظ ما زيد في مبناه مثل لفظة « نبتليه » وإيثارها على «نبلو » التي وردت في سياقات متعددة في القرآن الكريم .

وكذلك لفظة « أعتدنا » وإيثارها على لفظة « أعددنا » .

كما يلاحظ أن السورة القرآنية آثرت لفظة

---

[1] لسان العرب مادة (ق م ط ر) .

« إنسان » لتدور حولها محاور السورة من حرية الاختيار في استخدام العقل ، وما يترتب على ذلك من جزاء أخروي ، استدعى لفظة « بما صبروا » ، لتتلاءم مع التأني في إعمال العقل «ذلك جزيناهم بما صبروا » ، كما استدعى لفظة « العاجلة » لمن لم يحتكم إلى العقل فلم يؤثر التريث والإمهال ، في قوله : « إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ».

كذلك تنوعت الألفاظ التي تدور حول معنى واحد ، بما يوظف السياق المعاني الخاصة الفارقة كتلك التي نراها في « كفور- آثم – ظالم » هذا في الجانب المظلم ، أمَّا في الجانب المشرق فنرى « شاكر ، أبرار – عباد الله » .

٢- الجملة – أخذت الجملة الخبرية مساحة واسعة في السورة، ولم يرد من الإنشاء إلَّا الاستفهام في صدارة السورة، لتحريك العقل نحو التدبر والتفكر، ثم الأمر والنهي في الآيات « ٢٤، ٢٥ ، ٢٦ » التي تدعو الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- إلى الثبات على مبدأه في مواجهة الكفار .

وقد تنوعت جملة الخبر بين الحقيقة والمجاز ، وكان المجاز العقلي هو الشائع من ضروب المجاز مِنْ مثل : «يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا - يَوۡمًا عَبُوسًا قَمۡطَرِيرًا - يَوۡمًا ثَقِيلًا - شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ - وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا - عَذَابًا أَلِيمًا - شَرَابًا طَهُورًا » .

كذلك بنيت الجملة الخبرية على التقديم ، وكان أكثره شيوعًا تقديم المسند إليه « الضمير ، إنا ، نحن » على المسند في مجال الإثبات في الآيات رقم « ٢، ٣ ، ٤ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٨» ، لإفادة التأكيد والاختصاص ، وهذا يتلاءم مع جو السورة التي تقرر قدرة الله سبحانه من خلال طرح قضية الخلق .

تنوعت الجملة الخبرية في طريقة بنائها بين الماضي والمضارع ، الماضي لإفادة التحقيق والوقوع لما سيحدث مستقبلاً ، والمضارع للتجدد والاستمرارية به ففي جانب الكفار «إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلًا وَسَعِيرًا» لتحقيق وقوع هذا العذاب المستقبلي ، وفي جانب المؤمنين : «فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةً وَسُرُورًا» ، هذا بالنسبة للجزاء المستقبلي ، أمَّا حينما يراد التجدد فيؤتى بالمضارع مثل : « إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ - عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا - يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمًا - إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ » .

- كما تنوعت بين المبني للمعلوم وبين ما لم يسم فاعله لإرادة الترقي في الدرجة ، « يشربون من كأس – يُسقون فيها – ويُطاف عليهم – ويطوف عليهم ».

وأظهر من ذلك قوله في جملتين معطوفتين: « وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا» .

- كذلك تنوعت الجملة بين جزائي المؤمن والكافر ، ففي جانب الكافر إعداد «إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ »، وفي جانب المؤمن مباشرة الفعل « إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ ...» ، وفي نهاية السورة : «يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ» في جانب المؤمن ، أمَّا الكافر فجاء التعبير « وَٱلظَّٰلِمِينَ

أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» .

- كذلك رأينا التلون في استخدام الضمائر ، والعدول في الأسلوب ، وهو ما يعرف بالالتفات عند البلاغيين ، كالالتفات من الغيبة إلى الخطاب «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» وقوله تعالى : «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ... إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً» ومن الخطاب إلى الغيبة مثل قوله تعالى : «وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» .

ومن التكلم إلى الغيبة : « إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» .

ومن التكلم إلى الخطاب كقوله تعالى : «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» .

كذلك جاءت صياغة القصر في السورة متنوعة بين التقديم في الخبر المثبت مثل « إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ، إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا» وبين « إنما والنفي والاستثناء » الذي ورد لكل طريق صيغة واحدة فقط ، «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» وقوله : «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ».

٣- الجمل ، جاء الحديث عن جزاء الكفار مجملا ، إذا ما قيس بالحديث عن جزاء المؤمنين ، فرأينا في الحديث عن جزاء الكفار آية «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ ...» ثم بعد أن فصّل في الحديث عن جزاء المؤمنين، طعامهم وشرابهم وكسوتهم ، وهيئة اتكائهم، بما يشير إلى اطمئنانهم واستقرارهم ، استحضر علة ذلك في آخر السورة حين قال : « إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» ، ثم كان إجمال العذاب لهم في آخر السورة «وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » .

أمَّا بالنسبة للمؤمنين فقد ذكر « وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا » ثم تولَّد من ذلك هذا التفصيل – الصبر جزاءه الاطمئنان – متكئين ، والجنة بما تحويه من أطعمة وأشربه ، والحرير يشمل الملبس المذكور .

كما يلاحظ الترابط الظاهري والمعنوي بين الجمل ، الظاهر المتمثل في وجود الفاء الرابطة بين السبب والمسبب ، « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ » ، «إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ» ، أمَّا الترابط المعنوي فقد شاع بين الجمل الربط بـ « إن »، التي تغني عن فاء العاطفة ، وتعطي العبارة مزيدًا من التأكيد ، لتكون إجابة عما يثار في النفس من الجمل السابقة وهو ما يعرف عند البلاغيين بشبه كمال الاتصال .

من مثل : « عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا» .

كما جاء الربط بين الجملتين للتوسط بين الكمالين حيث الاتفاق في الخبرية مع وجود الربط من مثل : «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ .. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا .. إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» .

فالاتفاق في الخبرية واضح بين الجمل والرابط هو الضدية .

ثانياً : البيــان

قلَّ وجود فنون البيان في السورة الكريمة ، ولعل ذلك يرجع إلى أن المراد إعمال العقل عن طريق تقديم وسائل الإقناع وحرية الاختيار ، إذ ليس المطلوب الإمتاع العاطفي ، ومن ثم خلت السورة الكريمة من التصوير البياني إلَّا في مواضع قليلة يمتع فيها العاطفة ، ترغيبًا في الجنة كما نرى في تشبيه الولدان المخلدون باللؤلؤ المنثور في قوله تعالى : «إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا» وتشبيه القارورة بالفضة في قوله تعالى : «كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا» ، ليجمع بين الصفاء والنقاء والشكل .

أو يأتي بالمجاز ترهيبًا ، كما نرى في استعارة لفظة «قمطريرا» لثقل هذا اليوم العبوس استعارة أصلية تصريحية ، واستعارة لفظة «مستطيرا » للانتشار استعارة تصريحية تبعية ، وإسناد الطيران إلى الشر، لبعث الخوف والرعب من هول هذا اليوم الذي نرى فيه الشر ينتشر ويتطاير في كل مكان .

كما نلمح المجاز العقلي أكثر أنواع المجاز شيوعًا في السورة – يومًا عبوسًا، يوما ثقيلا ، شر ذلك اليوم ، شرابا طهورا ، سعيكم مشكورًا ، عذاباً أليمًا » هذه الفنون البيانية ، لم تكن بمعزل عن النظم والسياق ، وإنَّما كانت مستدعاة لتوضيح الغرض .

ثالثاً : البديــع

بنيت السورة على أساس المفارقة بين صنفين من البشر .

الصنف الأول : الأبرار الذين وضحت الآيات سبب جزاءهم « وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟» أي : بسبب صبرهم في الدنيا على تحمل المكاره ، لانتظارهم يوماً عظيمًا يحدث لهم فيه الأمن والاستقرار .

والصنف الآخر : الظالمون المحبون للعاجلة ، التاركون وراءهم يومًا ثقيلاً ويتخلل هذه المفارقة بعض المحسنات الجزئية من مثل الجناس في «فوقاهم ولقاهم » ، أو الطباق في : « شمسًا وزمهريرًا » « والعاجلة والثقل » تلك هي أهم الأنماط البلاغية في السورة القرآنية . أدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في تجليه ما أصبو إليه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

❁ ❁ ❁

الخاتمــة وتشمل :

(١) نتائج البحــث

بعد الدراسة التحليلية لعلاقات المعاني وطريقة بنائها في «سورة الإنسان » نحاول في إيجاز استخلاص أهم الحقائق التي يؤكدها البحث والنتائج التي توصل إليها ، ومنها :

١) تقرير ما ذهب إليه البقاعي من أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ، وأن لفظة «إنسان » هنا تشير إلى وجود عقل يدير الأمور ويحركها نحو قضية البعث ، من خلال النظر والاستدلال في قضية نشأة الخلق ، وقد أيَّد هذا ، ورود لفظة « إنسان » في سياقات القرآن الكريم المتعددة ، في مجالات التفكر وإعمال العقل . كما أيده سياق السورة محل الدراسة .

٢) بدأت السورة الكريمة بما يعرف لدى البلاغيين بـ «حسن الابتداء وبراعة الاستهلال » ، حيث كان للاستفهام الصدارة في تنشيط العقل وتحريكه إلى القضية الأساس، من خلال الانتقال من قضية الخلق .

٣) جاءت المعاني في السورة الثلاث مترابطة حتى رأينا « سورة الإنسان » تتمة لما ذكر في « سورة القيامة » ، وتفصيلاً لما أجمل في نهايتها ، ثم جاء «سورة المرسلات » تتمة لـ « سورة الإنسان » في بعض من الجوانب التي أشارت إليها السورة ، كوصف اليوم الثقيل « فإذا النجوم طمست ... الخ الآيات» .

٤) ارتبطت محاور السورة ارتباطا وثيقا في الكشف عن المقصود ، وقد جُمّع ذلك في خاتمة السورة باسم الإشارة « إن هذه تذكرة » ، ثم أعاد ما بدأت به السورة الكريمة بشيء من التكثيف فقال : « نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا» .

٥) تنوعت الفنون البلاغية وتكاتفت في الكشف عن المعاني ، وكان أكثرها استخدامًا علم المعاني ، نظر لطبيعة البحث في الأمور التي تحتاج إلى إقناع فجيء بالألفاظ الفرائد ، كما جيء بالألفاظ المصورة ، والتراكيب المتنوعة والمتعددة بين الالتفات والقصر ، والمجاز والحقيقة ، والإيجاز والإطناب.

٦) ندر استخدام التشبيه وجيء به في مجال الترغيب ، كما جيء بالمجاز العقلي واللغوي في مجال الترهيب .

٧) بنيت السورة الكريمة على المفارقة بين نوعين من البشر تجاه إحكام العقل.

هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة ، ويستطيع القارئ أن يستخلص نتائج أخرى منثورة في ثنايا البحث لم تذكرها خشية الإطالة والتكرار .

والله – تعالى – أسأل أن يجنبنا الزلل في القول والعمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

المصادر والمراجـع

- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / الشيخ محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط١ ،١٤٢١هـ - ١٩٩١م .

- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي- دار عالم المعرفة .

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة الشيخ / عبد المتعال الصعيدي – مكتبة الآداب بالقاهرة- ط نهاية القرن١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، دار الفكر للطباعة والنشر .

- تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، دار الكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

- تفسير التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحبون للنشر والتوزيع .

- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي- دار إحياء التراث ، الطبعة الثالثة.

- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ، ط١٣٩٨/٣هـ - ١٩٧٨م .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة ٤/ ١٤٠٥هـ .

- كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / محمود شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ، دار الفكر العربي- الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

- لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف .

- مدخل لكتابي الإمام عبد القاهر ، د/ محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة بالقاهرة ، ط الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق / محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ببيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، تخريج عبد الرازق المهدي ، دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعــات

الموضـــــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	١٣٦١
الفصل الأول (علاقات المعاني) .	١٣٦٣
المطلب الأول : مقصد السورة وعلاقتها بسورة القيامة .	١٣٦٤
المطلب الثاني :	١٣٦٨
علاقات المعاني بين سورتي القيامة والإنسان .	١٣٦٩
علاقات المعاني بين سورتي الإنسان والمرسلات .	١٣٧١
علاقات المعاني في سورة الإنسان .	١٣٧٣
الفصل الثاني : (بناء المعاني في سورة الإنسان) .	١٣٧٦
المطلب الأول (بناء المعاني في محاور السورة) .	١٣٧٧
١- بناء المعاني في تحريك العقل نحو قضية خلق الإنسان .	١٣٧٧
٢- بناء المعاني في تقسيم الناس إلى فريقين .	١٣٧٩
٣- بناء المعاني في جزاء الفريقين وأسباب هذا الجزاء .	١٣٨٠
٤- بناء المعاني في تثبيت النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على ما هو عليه من صبر واستغفار .	١٣٩٠
٥- بناء المعاني في خاتمة السورة .	١٣٩٢
المطلب الثاني (الأنماط البلاغية في السورة) .	١٣٩٥
أولاً : المعانـي .	١٣٩٥
١- الألفاظ .	١٣٩٥
٢- الجملة .	١٣٩٦
٣- الجمـل .	١٣٩٧
ثانياً : البيـان .	١٣٩٨
ثالثاً : البديـع .	١٣٩٨
الخاتمـة .	١٣٩٩
نتائج البحث .	١٣٩٩
المصادر والمراجع .	١٤٠٠
فهرس الموضوعات .	١٤٠١

❁ ❁ ❁

اسم الملف: ب = البحث منسق
الدليل: C:\Users\hju\Documents
القالب:

C:\Users\hju\AppData\Roaming\Microsoft\Templates\NORMAL.dotm
العنوان: - بألمٍ ما تُخْتَنِـنَّـهْ
الموضوع:
الكاتب: eL aslam
الكلمات الأساسية:
تعليقات:
تاريخ الإنشاء: ٢٠١٧/١١/١٨ ٠٤:٢٧:٠٠ م
رقم التغيير: ٢٢
الحفظ الأخير بتاريخ: ٢٠١٧/١١/١٨ ٠٦:١٥:٠٠ م
الحفظ الأخير بقلم: hju
زمن التحرير الإجمالي: ١٠٥ دقائق
الطباعة الأخيرة: ٢٠١٧/١١/١٨ ٠٦:١٦:٠٠ م
منذ آخر طباعة كاملة
عدد الصفحات: ٤١
عدد الكلمات: ١٠,٦٧٤ (تقريباً)
عدد الأحرف: ٦٠,٨٤٣ (تقريباً)

This document was created with the Win2PDF “print to PDF” printer available at
http://www.win2pdf.com

This version of Win2PDF 10 is for evaluation and non-commercial use only.

This page will not be added after purchasing Win2PDF.

http://www.win2pdf.com/purchase/